البعد الإشاري في الفروق اللغوية عند الحكيم الترمذي

دراسة تحليلية نقدية

الدكتور حسام عبد العزيز عبد الجليل

أستاذ النحو والصرف المساعد

كلية الآداب جامعة حلوان

hossam_abdelgalil@arts.helwan.edu.eg

الملخص

موضوع البحث البعد الإشاري في الفروق اللغوية عند الحكيم الترمذي دراسة تحليلية نقدية، يسعى للكشف عن وجهة نَظَرِ أحدِ المتصوِّفَةِ الكِبار في قضية الفروق اللغوية قبولًا أو رفضًا، والمعايير الحاكمة لمنهجه في دراسة هذه الفروق، اتبع البحث المنهج الوصفي التحليلي، وجاء في مقدمة، وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة، وكشاف معجمي بالفروق التي اشتمل عليها؛ تناول المبحث الأول تصنيف الفروق اللغوية عند الحكيم، وعالجَ المبحث الثاني الأصول الفكرية الحاكمة لمنع الترادف عنده، وانتهى البحث إلى عِدَّة نتائج منها أن الحكيم الترمذي يُعَدُّ أوَّل العلماء من أهل التصوف الذين تعرَّضوا لدراسة هذه الظاهرة، وقد غَلَبَ التوجُّه الصوفي على الفروق اللغوية التي تناولها سواء من جهة اختياراته لها، أو شرحه لتلك الفروق لبيان سبب منع الترادف بينها من جهة أخرى، وتنوَّعَت الفروق بين الإفراد والتركيب، وصَرَّحَ الحكيمُ بأنَّ التشابهَ بين تلك الفروق ظاهري، وأنَّ مرجعَ الاختلاف يكون في المعنى الباطِنيّ الذي رآهُ سببًا لوجود الفَرق، وذكر أن العلماءَ من أصحاب الحكمة هم وحدهم من يستطيعون الوقوف على هذه الاختلافات وليس العامة من الناس، وارتكز أولًا في اختيار تلك الفروق ، وثانيًا في توجيهها الدلالي على ثنائيات ضِدِّية؛ تمثلت في: (الظاهر والباطن)، و(المحمود والمذموم)، و(القَلب والنفس)، ورجّح الحكيمُ دائمًا أنَّ ما تعلَّقَ بالقلب من الصفاتِ يكون محمودًا، وما تعلَّق بالنفس يكون مذمومًا، كذلك أرجَعَ الفروق بين الأفعال إلى الدوافع من ورائها وليس إلى الأفعالِ في ذاتِها، ورأى البحثُ أن الحكيم الترمذي من أوائل

الصـوفيَّة الـذين لفتـوا النظـرَ إلـى توجيـهِ الحـروف توجيهًـا دلاليًّـا ممـا شـاعَ فيمـا بعـد عنـد كِبـار المتصوّفة مثل عبد القادر الجيلاني ومحيي الدين بن عربي.

الكلمـات المفتاحيـة: البعـد الإشـاري، اللغـة الصـوفية، العلاقـات الدلاليـة، الفـروق اللغويـة، الحكـيم الترمذي.

Abstract

Research Subject: Implicature in studying the linguistic differences according to Al-Hakim al-Tirmidhi: A critical analytic study. The research aims to explore the perspective of a prominent Sufi scholar on the matter of linguistic differences, whether accepting or rejecting them, and the governing criteria of his approach in studying these differences. The study adopts a descriptive-analytical methodology and consists of an introduction, preface, two chapters, conclusion, and an index containing the linguistic differences covered. The first chapter deals with the classification of linguistic differences according to the scholar, while the second chapter addresses the intellectual principles that guide his avoidance of synonymy. The findings of the research indicate that the Sufi scholar al-Tirmidhi is considered the first among Sufi scholars to study this phenomenon. His approach leans towards a Sufi perspective, both in selecting these differences and in explaining them to highlight the reasons behind avoiding synonymy. The differences discussed cover both individual lexical items and their structures. The scholar emphasized that the similarities between these linguistic differences are superficial, and the source of differentiation lies in their inner meanings, which he viewed as the cause for their distinctiveness. He also mentioned that only wise scholars can fully comprehend these distinctions, not the general public. The scholar's selection and semantic direction of these differences are based on dichotomies such as "apparent and hidden," "praiseworthy and blameworthy," and "heart and soul." Additionally, he consistently outweighed that attributes concerning the heart are positive and attributes concerning the soul are negative. The research also acknowledges that al-Tirmidhi was among the early Sufis who drew attention to the semantic direction of letters, a concept that later became prevalent among eminent Sufis like Abdul Qadir al-Jilani and Muhiddin Ibn Arabi.

Keywords: Implicature, Sufi Language, linguistic differences, semantic relations, Al-Hakim al-Tirmidhi, avoidance of synonymy.

مقدمة

اهتمَّ كثيـرٌ من العلماء بظاهرة الفروق اللغوية، ويُعدُّ كتاب (الفروق اللغوية) لأبي هلال العسكري (ت: 395هـ) أشهرَ الكتب التـي أفرِدت لدراسة هذه الظاهرة، وإن كان قد نبَّه إلى وجود هذه الفروق في اللغة عددٌ من العلماء قبل العسكري؛ إذ ذَكَرَ الجاحظ (ت: 255هـ) في مقدمة كتابه (البيان والتبيين) أنَّ العامة قد تستعمل بعض الألفاظ قريبة المعنـى دون تفرِقة؛ مثل الجوع والسغب، والغيث والمطر؛ فقال: "وقد يستخف الناس ألفاظًا ويستعملونها وغيرها أحقُّ بذلك منها؛ ألا ترى أن الله تبارك وتعالى لم يذكر في القرآن (الجوع) إلا في موضـع العقاب أو في موضـع الفقر المدقع والعجز الظاهر، والناس لا يذكرون (السغب) ويذكرون الجوع في حالة القدرة والسلامة، وكذلك ذكر (المطر)؛ لأنك لا تجد القرآن يلفظ به إلا في موضع الانتقام، والعامة وأكثـر الخاصة لا يفصلون بين ذكر المطر وبين الغيث"[1]، كما جعل ابن قتيبة (ت:276 هـ) عنوانَ الباب الأول من كتابه (أدب الكاتب): معرفة ما يضـعَهُ الناسُ في غيـر موضِـعِه، ذكر فيه أمثلة لعدم تفرقة العامة بين بعض المفردات قريبة المعنـى مثل: (الخَلف والكذب) و(الفقيـر، والمسكين)، و(الخائن والسارق)، و(البخيل واللئيم) الذي يفرق بينهما بقوله: "بذهب الناس إلى أنهما سـواء، وليس كذلك؛ إنما البخيل: الشـحيح الضـنين، واللئيم: الذي جمَع الشُّـحَّ ومَهانَةَ النفسِ ودناءة الآباء؛ يُقالُ: كلُّ لئيمٍ بخيلٌ، وليسَ كُلُّ بخيلٍ لئيمًا"[2].

وترجع أهميةُ البحثِ إلى سببين رئيسَين: أحدهما أن أحدًا من الدارسين – على حد علمـي – لم يتعرَّض لدراسة الفروق من الوجهَة الإشارية الصوفية بشكلٍ عامٍّ، وعند الحكيم الترمذي (ت: 320هـ) على وجه الخصـوص، والسـبب الثاني أن الحكيم الترمذي يُعدُّ أوَّل العلماء القُدامَى من المتصـوِّفة الذي عالجَ قضـية الفروق اللغوية، ومن ثمَّ جاء هذا البحث محاوِلًا الكَشـفَ عن وجهة نَظَرِ الحكيم الترمذي في هذه القضية قبولًا أو رفضًا، والمعايير الحاكمة لمنهجه في دراسة هذه الفروق.

الدراسات السابقة:

في سبيل الاستيثاق من صحة ما ذهبتُ إليه والاطمئنان له، رجعتُ إلى الدراسات التـي اهتمَّت بتتبُّع هذه الظاهرة منذ نشأتها، وكان مِمَّا وقفتُ عليه بحثٌ بعنوان: تأصيل ظاهِرة الفروق اللغويّة ودراسة

1) الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة السابعة 1998م،: 20/1.
2) ابن قتيبة، أبو محمد بن عبد الله بن مسلم، أدب الكاتب، تحقيق محمد الدالي، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1981: 35.

الكتب المؤلفة فيها[3]، ذَكَرَ فيه صاحبُه أن الاهتمام بهذه القضية ظهر منذ القرن الثاني الهجري؛ عندما بدأ تخصيص كتب لإصلاح ما تخطئ به الخاصة والعامة؛ من أول ما يُنسَبُ إلى الكسائي (ت:189هـ) وإصلاح المنطق لابن السكيت (ت:244هـ) والفصيح لثعلب (ت:291هـ) ولحن العوام للزبيدي (ت:397هـ)؛ ثم قال: "ولعل أهم كتابين أشارا إلى مسألة الفروق هما: تثقيف اللسان وتلقيح الجنان لابن مكي الصقلي (ت:501هـ)، ودُرة الغواص في أوهام الخواص للقاسم بن علي الحريري (ت:516هـ)"، ثُمَّ عَرَضَ بعض الكتب التي اهتمت بدراسة هذه الظاهرة وذكَرَ نماذِجَ من المفردات التي تناولتها، وفصَّل الحديث عن كتاب الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري، وشروحه، وانتهى بما أُلِّفَ في العصر الحديث نحو كتاب: لَطائف اللغة، لأحمد بن مصطفى اللبابيدي[4]، والفصل الذي خصَّصه عباس أبو السعود لذلك ضمن كتابه: شموس العِرفان بلغة القرآن[5].

ولم يتعَدَّ نَصيبُ الحكيم الترمذيّ في هذه الدراسة سوى الإشارةَ العابرةَ إلى أحد الكتابَين اللذين اتَّخذتُهما مادَّةً للدِّراسة؛ وذلك في قول الدارس: "وفي أثناء البحث تبين لي أن هناك رسالة من هذا النوع بعنوان: بيان الفرق بين الصدر والقلب والفؤاد واللُّبّ للحكيم الترمذي"، ولم يزد عن ذلك، وذكر في الحاشية أنها طبعت عام 1958م في دار إحياء الكتب العربية وأنه لم يستطع الحصول عليها، ولم يذكر الباحث الكتاب الآخر للحكيم الترمذي: الفروق ومنع الترادف.

وبناءً على ما سبق يمكن القول إنني لم أقف على دراسةٍ سابقة تناولت البُعدَ الإشاري في قضية الفروق اللغوية عمومًا، وعند أهل التصوُّف على وجه الخصوص وعند الحكيم الترمذي على وجهٍ أخَصّ، وقد مثَّل هذا الدافع الأساس لإنجاز هذا البحث.

مادة الدراسة:

صنَّفَ الحكيمُ الترمذي في علومٍ كثيرة وبلغ عدد ما أحصاه الدكتور محمد إبراهيم الجيوشي في دراسته التي أفردَها لآثار الحكيمِ وأفكاره ما يزيد عن ستين مؤلَّفًا وأكثر من مئتي رسالةٍ أغلبها لم يُطبَع، وانتهى إلى أنّ هذه المؤلَّفات تندرِج تحت الفروع الآتية:

---

3) أحمد عبد القادر صلاحية، مجلة التراث العربي، دمشق، العدد44، يوليو/تموز 1991م.

4) صدرَ قِسمٌ منه بعنوان: اللطائف في اللغة: معجم أسماء الأشياء، تحقيق أحمد عبد التواب عوض، دار الفضيلة، القاهرة، 1997.

5)عباس أبو السعود، شموس العرفان بلغة القرآن، دار المعارف، القاهرة، 1980.

التفسـير، والحديث، والفقه، وفلسـفة التشـريع، وعلم الكلام، وتاريخ الصـوفية، ومبادئ التصـوف ومناهجه[6].

ويُلاحَظُ أنَّه لم يذكر لهُ مؤلَّفاتٍ في العلومِ العربية أو اللُّغوِيّة، ويؤكِّد ذلك النَّظرُ فيما حُقِّقَ وطُبِعَ من هذه المؤلَّفات التي غَلَبَ عليها الطابعُ الصوفي؛ ومِمَّا وقَفتُ عليه:

1 آداب المُريدين وبيان الكَسب[7].
2 أَدَب النفس[8].
3 الرياضة وأدب النفس[9].
4 معرفة الأسرار[10].
5 المسائل المكنونة[11].
6 ختم الأولياء[12].
7 إثبات العِلَل[13].
8 الحج وأسراره[14].
9 الصلاة ومقاصدها[15].

كما انعكَسَ أثَرُ هذهِ المؤلَّفاتِ بطابعها الصوفيّ على الكتب والدراسات الحديثة التـي تناولت هذا المُنجَزَ الفِكرِيَّ بالدراسة؛ وممّا طالَعتُه من تلك الدراسات:

1- الحكيم الترمذي واتجاهاته الذوقية، الدكتور وجيه أحمد عبد الله[16].
2- الحكيم الترمذي ونظريته في السلوك، الدكتور أحمد عبد الرحيم السايح[17].

---

6) انظر المرجع السابق: 54 و61.
7) تحقيق الدكتور عبد الفتاح بركة، مطبعة السعادة، القاهرة د. ت.
8) تحقيق الدكتور أحمد عبد الرحيم السايح، الدار المصرية اللبنانية، الطبعة الأولى 1993م.
9) تحقيق الدكتور أ. ج. آربري والدكتور علي حسن عبد القادر، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة 1947م.
10) تحقيق الدكتور محمد إبراهيم الجيوشي، دار النهضة العربية، القاهرة، 1977م.10(
11) تحقيق الدكتور محمد إبراهيم الجيوشي، دار التراث العربي، القاهرة، الطبعة الأولى 1980م.
12) تحقيق عبد الوارث محمد علي، دار الكتب العلمية، القاهرة، الطبعة الأولى 1999م.
13) تحقيق خالد زهري، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى 1998م.
14) تحقيق حسني نصر زيدان، مطبعة السعادة، القاهرة، الطبعة الأولى 1969م.
15) تحقيق الدكتور عبد الحليم محمود، وحسـني نصـر زيدان، دار الكتاب العربي، القاهرة 1965م، ومن كتُبِه الأخرى التي وقفت عليها محقَّقَةً: الأمثال من الكتاب والسـنة، تحقيق الدكتور السـيد الجميلي، دار ابن زيدون، بيروت، الطبعة الثانية 1987م، والمنهيات، تحقيق الدكتور محمد عثمان الخشت، مكتبة القرآن، القاهرة 1986م، وأوصاف النبي صلى الله عليه وسلم، تحقيق سميح عباس، دار الجيل، بيروت، الطبعة الثانية، د. ت. ونوادر الأصول في معرفة أحاديث الرسول، تحقيق إسماعيل إبراهيم متولي، مكتبة الإمام البخاري، القاهرة، الطبعة الأولى 2008م
16) دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1989م
17) مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2006م.

3- المعرفة عند الحكيم الترمذي، عبد المحسن الحسيني[18].

وبعد مُدارَسةِ هذهِ المؤلَّفات، وجدتُ أن ثَمَّة كتابَين من بينِها تمَيَّــزَا بمُعالَجَةِ قضيةِ الفروقِ اللغوية فاتّخذتهما مادَّةً للدراسة في هذا البحث؛ للكشفِ عن فِكرِ الحكيم ومنهجِه في تناوُلِ هذه الظاهرة؛ وهما:

- **الفـروق ومنــع التــرادف**، حققـه الـدكتور محمـد إبـراهيم الجيوشـي، وصـدر عـن مطبعـة الإيمـان بالقاهرة عام 2005م.
- **بيان الفرق بين الصـدر والقلب والفؤاد واللُّبّ**، تحقيق الدكتور أحمد عبد الكريم السـايح، وصـدر عن مركز الكتاب للنشر بالقاهرة 1997م.

واقتضَـت طبيعة البحثِ اتِّباع المنهج الوصـفي التحليلي لمعالجة الموضـوع سـعيًا للوصـول إلى النتائج المرجوَّة منه، وجاء في هذه المقدمة، وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة، وكشاف معجمـي بالفروق اللغوية التـــي اشتمل عليها البحث؛ تحدثت في التمهيد عن تعريف (الإشارة) لغةً واصطلاحًا، وعرَّفتُ بالحكيم الترمذي ومُنجَزِه في الفروق، المتمثِّلِ في كتابَيه اللذَين اتخذتهما مادَّةً للدراســة، وتضــمّن الميحث الأول تصـــنيف الفروق اللغوية عند الحكيم الترمذي، وعالجَ المبحث الثاني الأصـــول الفكرية الحاكمة لمنع الترادف عند الحكيم، وتضمنت الخاتمة النتائج التـي انتهـى إليها البحث، أعقبها قائمة المصادر والمراجع، وأخيرًا كشاف معجمي بالفروق التي اشتملَ عليها البحث.

18) دار الكاتب العربي، القاهرة، د.ت.

تمهيد

البعد الإشاري والحكيم الترمذي ومُنجَزه في الفروق اللغوية: مداخل تعريفية

البُعد الإشاري:

(الإشـارة) في اللغة الإيماء؛ جاء في لسـان العرب: "أَشَـارَ إلَيه وشَـوَّرَ: أومَأَ، يكون ذلك بالكَفِّ والعَينِ والحاجِب ... وأشارَ الرجلُ يُشيرُ إشارَةً، إذا أومَأَ بيدَيه، ويُقال: شَوَّرتُ إليه بيدي، وأشَرتُ أليه، أي لوَّحتُ إليه وألَحتُ أيضًا، وأشار إليه باليد، أومَأَ، وأشار عليه بالرأي، وأشارَ يُشيرُ، إذا ما وجَّهَ الرأيَ"[19].

أما المعنـــى الاصطلاحي لعلم الإشارة فقد تطرَّق إليه الحكيم الترمذي، ولعلَّه من أوائل العلماء الذين تحدَّثوا عنه؛ إذ يرى أن علم العبارة التعبير باللسان، وأن القلب موضع علم الإشارة؛ يقول: "والقلب معدن العلم الذي تحت علم العبارة، وهو علم الحكمة والإشـــارة، وعلم العبارة حجة الله على الخلق، يقول الله لهم: ماذا عملتم فيما علمتم؟ وعلم الإشـــارة محجة العبد إلى الله بهداية الله تعالى له، أنه منَّ عليه بكشف قلبه بمشاهدة غيبه، ورؤية ما وراء حجُبِه، كأنه يرى ذلك كلّه بعينه، حتى لو كشف له الغطاء لما زاد في نفسه، فالقلب موضع علم الإشارة. ومعنى علم العبارة أن يعبّر باللسان، ومعنى علم الإشارة أن يشير بقلبه إلى ربوبيته، ووحدانيته، وعظمته، وجلاله، وقدرته، وجميع صفاته، وحقائق صنعته وفعله"[20]، ويقول في مَوضِعٍ آخر: "وأسماء مَقاماتِ السِّرِّ مثل: الصَّدر والقَلب هي عِبارةٌ باللِّسانِ، وإنما حقيقتها إشاراتٌ إلى الأنوارِ، وقد وضَعَها اللهُ من خزائنِ نُورِه"[21].

كما عرَّفَ أبو بكر محمد بن إسـحاق البخاري الكلاباذي (سـنة 380هـ) علم الإشـارة؛ إذ أورَدَهُ ضِمْنَ علومِ الصوفية التـــي أطلق عليها علوم الأحوال، وعلَّلَ لتَسميتِه، فَذَكَرَ أن علم الإشارة من العلوم التـــي تفرَّدت به الصوفية؛ وأن هذه العلوم تتضمن علم الأحكام الشرعية وهي علوم التعلُّم والاكتساب بعد إحكام علم التوحيد، ويرى أن أول ما يلزم العبد بعد ذلك علم آفات النفس ومعرفتها ورياضـــتها وتهذيب أخلاقها ومكائد العدوّ وفِتنة الدنيا وسبيل الاحتـــراز منها وهو علم الحكمة، ثم مراقبة السرائر وتطهيـــر الخواطر وهو علم المعرفـة، ثم ذكرَ علم الإشـــارة فَنَصَّ على أنَّ: "وراء هـذا علوم الخواطر وعلوم المشاهدات والمكاشفات وهي التـــي تختص بعلم الإشارة؛ وهو العلم الذي تفرَّدَت به الصوفية، بعد جَمعِها

---

19) ابن منظور، لسان العرب، تحقيق عبد الله علي الكبير وآخرين، دار المعارف، القاهرة (شور) 2358/4.

20) الحكيم الترمذي، بيان الفرق بين الصدر والقلب والفؤاد واللب، تحقيق أحمد عبد الرحيم السايح، مركز الكتاب للنشر، القاهرة 1997م: 43.

21) بيان الفرق بين الصدر والقلب والفؤاد واللب: 74.

سائر العلوم التـــي وصفناها، وإنما قيل علم الإشارة لأن مشاهدات القلوب ومكاشفات الأسرار لا يمكن العبارةُ عنها على التحقيق، بل تُعلَمُ بالمُنازَلات والمواجيد، ولا يعرفها إلا من نازَلَ تلك الأحوال، وحلَّ تلك المقامات"[22].

وشاع مصطلح (التفسير الإشاري) فيما يخص تفسير المتصوِّفة، الذي أطلق عليه الدكتور محمد حسين الذهبي اسم التفسير الفَيضي أو الإشاري، وعرَّفه بأنه: "تأويل آيات القرآن الكريم على خلاف ما يظَهر منها بمقتضـــى إشـــاراتٍ خَفِيَّةٍ تظهر لأرباب الســـلوك، ويمكن التطبيق بينها وبين الظواهر المرادَة"[23]، وفرَّق الذهبي –رحمه الله– بين نوعين من التفسـير الصـوفي؛ أحدهما التفسـير الصـوفي النظري الذي يُبنَـــى على مقدمات علمية تنقدح في ذهن الصوفي أولا، ثم ينـــزِّلُ القرآن عليها بعد ذلك، والنوع الثاني التفسير الصوفي الإشاري الذي لا يرتكز على مقدماتٍ علمية، بل على رياضَةٍ روحية يأخذ بها الصوفي نفسه حتـــى يصل إلى درجةٍ تنكشف له فيها من سُجُفِ العبارات هذه الإشارات القدسية، وتنهلُّ على قلبه من سحب الغيب ما تحمله الآيات من المعارف السبحانية[24].

وكان القُشـيري (ت: 465هـ) مُعاصِـرًا للحكيم الترمذي، الذي جعل عنوان تفسـيره للقرآن الكريم: لَطائف الإشارات[25].

الحكيم الترمذي:

الحكيم الترمذي هو أبو عبد الله محمد بن علي بن الحسـن بن بشـر (ت:320هـ)، يُعَدُّ من كِبار علماءِ التصوُّف وأعلامِه في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري وأوائل القرن الرابع، أثنى على عِلمِه القدَماءُ والمحدَثون؛ إذْ ذَكَرَهُ أبو بكر محمد بن إسـحاق الكلاباذي (ت: 380هـــ) ضـمن مجموعةٍ من العلماء الذين صـــنَّفُوا في المُعاملات وعقَّبَ بقَولِه: "هم الآعلام المذكورون المشـــهورون المشـــهود لهم بالفضـل، الذين جمَعوا علومَ المواريث إلى علوم الاكتسـاب، سـمعوا الحديث وجمعوا الفقه والكلام واللغة وعلوم القرآن، تشـهد بذلك كتبُهم ومصـنَّفاتُهم"[26]، وعَدَّهُ أبو عبد الرحمن السُّلَّمي (ت:412هـ) في الطبقة

22) أبو بكر محمد بن إسحاق البخاري الكلاباذي، التعرف لمذهب أهل التصوف، تحقيق آرثر جون آربري، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثانية 1994: 59.

23) محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، مكتبة وهبة، القاهرة، 1995، 261/2.

24) المرجع السابق.

25) حققه الدكتور إبراهيم بسيوني، وصدرت طبعته الثالثة في ثلاثة مجلدات عن الهيئة المصرية العامة للكتاب عام 2000م.

26) المرجع السابق: 12.

الثانية من طبقات الصوفية[27]، وقال عنه أبو القاسم القشيري (ت: 465هـ): "من كبار الشيوخ، وله تصانيف في علوم القوم"[28]، وذكرَ أبو الفرج ابن الجوزي (ت: 597هـ) أنه من كبار مشايخ خُراسان[29]، وعدَّه شمس الدين الذهبيُّ (ت:748هـ) من رجال الطبقة العاشرة من حَمَلَة العِلم النَبَوي، قال عنه: "الزاهد الحافظ المؤذن صاحب التصانيف"[30]، ووصفه تاج الدين السبكي (ت: 771هـ) بالمحدِّث الصوفيّ، وقالَ في ترجَمَتِه: "ومن تصانيف الترمِذِي كتاب (الفروق) لا بأسَ به، بل ليس في بابِهِ مثلُه، يفرّقُ فيه بين المُداراةِ والمُداهَنَة، والمُحاجَّة والمُجادَلَة..."[31].

أمَّا المُحدَثون فَيُعَدُّ الدكتور محمد إبراهيم الجيوشي أكثرَهم اهتِمامًا بالمُنجَز الفِكريّ للحكيم الترمذي؛ قال عنه: "ترك في الفكر الصوفي بخاصة، والفكر الإسلامي بعامَّةٍ أبعَدَ الأثرِ وأعمَقَه بما خلَّفَهُ من مؤلَّفاتٍ تبسطُ آراءَه وأفكارَه في كثيرٍ من المسائلَ التي تناولَها الصوفيةُ من بَعده بالشرح والتحليل والاقتِباس، وكان الحكيمُ هو السابق إلى تَجلِيتِها، وإرساء قواعدِها في صورةٍ كامِلةٍ واضحةٍ تلقَّاها بالقبول مَن أتَى بعده مِن الشيوخِ واعتمدوا عليها، واستفادوا منها"[32].

مُنجز الحكيم الترمذي في الفروق اللغوية:

أفرَدَ الحكيمَ الترمذيّ كتابين من بين كتُبِه للحديث عن الفروق اللغوية؛ جاء أولهما بعنوان: **الفروق ومنع الترادف**، والثاني بعنوان: **بيان الفرق بين الصدر والقلب والفؤاد واللُّبّ**، وبمُطالعَة عنوانِ كُلٍّ من الكتابَين يتَّضِح للوَهلَةِ الأولى أن صاحبهما يؤيّدُ وجود ظاهرة الفروق اللغوية في العربية شأن غيره من العلماء الذين ذهبوا هذا المذهب[33]، مُؤَكِّدًا على ذلك في عنوان أول الكتابين بالقيد العَطفِيّ القَاطِع بمنعِ مَا قد يُتَوَّهَمُ وهو قَوله (ومنع الترادف)، وناصًّا على ذلك أيضًا في صَدْرِ عنوانِ الكتاب الثاني بقولِه: "بَيان الفَرق".

---

27) أبو عبد الرحمن السلمي، الطبقات الصوفية، تحقيق أحمد الشرباصي، دار الشعب،القاهرة، الطبعة الثانية 1998م: 71.

28) أبو القاسم القشيري، الرسالة القشيرية، تحقيق عبد الحليم محمود، ومحمود بن الشريف، دار الشعب، القاهرة 1989م: 92.

29) أبو الفرج بن الجوزي، صفة الصفوة، تحقيق خالد مصطفى طرطوسي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية 2012م: 786.

30) شمس الدين الذهبي، تذكرة الحفّاظ، دار الكتب العلمية، بيروت (د.ت.): 64530/2

31) تاج الدين السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق محمود الطناحي، وعبد الفتاح الحلو، دار هجر، الطبعة الثانية 1992م: 245/2-246.

32) الحكيم الترمذي، محمد بن علي الترمذي، دراسة لآثاره وأفكاره، محمد إبراهيم الجيوشي، دار النهضة العربية، القاهرة، 1980م.

33) من الذين يرون وجود هذه الظاهرة ابن الأعرابي (ت:231هـ) وتلميذه ثعلب (ت:291هـ) وابن درستويه (ت:346هـ)، وابن فارس (ت:395هـ) وأبو هلال العسكري (ت:395هـ تقريبًا)، وقد ناقش السيوطي موضوع الترادف بشكل مفصل؛ وأفرد له قسمًا في المزهر (النوع السابع والعشرون) انظر: المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق محمد أحمد جاد المولى وآخرين، المكتبة العصرية، بيروت، 1986م :402/1-413.

- **الفروق ومنع الترادف:**

يقع الكتابُ في عشر وثلاثمئة صحيفة (310)؛ اشتملَ على قسمين؛ الأول الدراسة وجاءت في خمسين صحيفة (50)، وضمَّ القسم الثاني النَّصَّ المحقَّق الذي جاء في ستين ومئتـــي صحيفة (260)، أدار الحكيم الترمذي حديثه فيه على ستَّةٍ وخمسين ومئة فَرقٍ (156)، وإن كان قد ذكرَ في مقدمة الكتاب أنه سيتناول أربَعَةً وستين ومئةَ فرقٍ (164)، وسيأتي تفصيل ذلك

ظهرَت الوِجهة الإشارية الصوفية الغالبة على مُؤَلَّفاتِ الحكيم في مقدمة الكتاب الموجزة بما يُنبِـئُ أنَّ مَدارَ حديثه سيكون على تناولِ مفرَدَاتٍ متعلِّقَةٍ بهذا المجال؛ يقول: "أما بعد، فإنك سألت عن سبب مُشتَبَهِ الأفعال، وبيان فروقها، واعلم أن السبب في ذلك أن الأفعال تخرج إلى الأركان من صدرٍ قد انقَسَمَ قسمَين على قَلبٍ سلِيمٍ ونَفسٍ سَقيمَة، فأيُّهما غَلَبَ على صاحِبِهِ كانَ الفعلُ لَه، فَتَبايَنَا في البَاطِنِ واشتَبَهَا في الظاهِر"، ثُمَّ عَدَّدَ الفروقَ التـــي سيتناولُها بادِئًا بالمُدَاراةِ والمُداهَنَة، منتهيًا بالمُقَايَسَةِ والمُشَاكلة، ونَصَّ في نهاية المقدِّمة على أن عدَدَ هذه الفروق أربَعةٌ وسِـتُّون ومِئة فَرقٍ (164)، وقد نَبَّهَ مُحقِّقُ الكتاب إلى وجودِ اختلاف في هذا العددِ الذي ذكرَهُ الحكيم مع ما جاءَ في متنِ الكتاب؛ فقال: "وقَد وَعَدَ الحكيمُ في مقدِّمَتِه أنه سيُقدِّمُ لَنَا مِئَةً وأربَعَةً وستِّين فَرقًا، ولكنَّ المذكور لم يتجاوَزْ مئةً وسِتَّةً وخَمسينَ فَرقًا (156)، مع ملاحَظَـةِ أنَّـهُ كَرَّرَ الفرقَ بينَ المُذَكِّرِ والقَاصّ مرَّتَين، وإن كانَ مَا أورَدَهُ في كُلٍّ منهما مختَلِفًا عن الآخَر"[34]، انتهى.

أقول: إن كان الحكيمُ الترمذِيُّ قَد عدَّدَ هذه الفروق بشـــكلٍ إجمالِيٍّ في المقدِّمَةِ على نحو ما ذَكَرتُ، ثمَّ أفرَدَ كُلَّ فَرقٍ بحدَيثٍ مُستَقِلٍّ؛ كان المُنتَظَرُ أن تكونُ الفروقُ التـــي سَرَدَها في المقدمة إجمالًا هي نفسها المذكورة تفصيلًا في متن الكتاب، ولكن الأمرَ لم يكن على هذا النحو؛ فبمقارَنَةِ هذا العدد مع ما جاء في مَتنِ الكِتابِ يُلاحَظُ وجود اختِلافٍ في عدَدِ الفروق المشـروحة في المَتنِ عمَّا قالَهُ المؤلِّفِ في المُقدِّمَة، وفي الوقت نفسِهِ ليس على النحوِ الذي ذكَرَهُ محقِّقُ الكِتاب، وبيان ذلك على النحو الآتي:

34) الفروق ومنع الترادف، مقدمة المحقق: 46.

- بدأ الحكيمُ الترمذيُّ تَعدادَ الفروق التـي سيتناولها بالشرح في مقدمة الكتاب بقوله: "وذلك مثل: المُدارَاة والمُدَاهَنَة، والمُحَاجَّة والمُجادَلَة ..." وأخذَ في سَـردِ هذه الفروق التـــــي أنهاها بالفرق بين المُقايَسـة والمشاكَلَة، ثم ختم المقدمة بإجمال عدد هذه الفروق قائلًا: "فهي مئةٌ وأربعةٌ وستُّون فرقًا".

ويُلاحَظُ أنّ الحكيمَ بدأ عبارته بقوله: "مثل" ممَّا يدلُّ على أنه سيذكُرُ بعض الفروق على سبيل التمثيل وليس الحصر، لكنه بعد أن سَرَدَ تسعَةً وأربَعينَ ومَئَةَ فَرقٍ (149) أعقبها بقولِه: "فِهِـي مِئةٌ وأربعةٌ وسِتُّونَ فَرقًا"، بما يفيد أن تلك الفروق التـــي سَرَدَهَا بهذا العدد (149) ليست لمجرَّد التمثيل، كَما يُفهَمُ من العَدَدِ الذي نَصَّ عليه في ختام المقدمة (164) أنه أحصاهَا فبلغَ عددُها إجمالًا أربعةً وستِّينَ ومئةَ فَرقٍ (164) كما نَصَّ على ذلك، وقد أشار محقِّقُ الكتاب إلى هذا الاختلاف في مقدمته للتحقيق على نحو ما ذكَرت.

وقد دَفعَني هذا إلى التوقُّف وإحصاء هذه الفروق التي ذَكرهَا الحكيمُ في المقدِّمة فوجدتُها تسعةً وأربعين ومئةَ فَرقٍ (149)، ممَّا يقِلُّ عن العدد الإجماليِّ الذي ذكره الحكيم بخمسةَ عشرَ فرقًا (15)؛ أي أن هناك خمسة عشر فرقًا لم يذكرها الحكيم حين سردَ هذه الفروق، هذا عن المقدمة.

- أمَّا فيما يتعلَّقُ بالفروق التـــي شرَحَها الحكيم الترمذي في متنِ الكتاب فكان عددُها – طِبقًا للتـــرقيم التسلسلي لهذه الفروق الذي صَنَعَهُ المحقِّق – سِتَّةً وخمسينَ ومِئَةَ فَرقٍ (156).

وقد اتَّضـــحَ من خلال الدراســة أن هناك خمســةَ فُروقٍ (5) لم يذكرهَا الحكيمُ في المقدّمة ولكنّها جاءت مشــروحَةً في مَتن الكِتاب؛ كما تكررت ثلاثةُ فروقٍ في موضِـــعَين من الكتاب ذكر المحقِّقُ واحدًا منها فقط كما سـبق وأن أشـرت؛ وعلى ذلك يكون إجمالي عدد الفروق المشـروحة في مَتن الكِتاب واحدًا وخمسينَ ومِئةَ فَرقٍ (151).

أمَّا الفروق الخمسة التي أوردهَا الحكيم في مَتنِ الكتاب ولم تَرِدْ في مقدِّمَتِه فهي:

1- السماحة والحِرص (الفَرق رقم 19 صـ 80).
2- الجُود والسَّرَف (الفرق رقم 20 صـ 81).
3- الجَمَاحة والسُّرعَة (الفرق رقم 72 صـ 141).
4- سِعَة الصدر وجَلاء الصدر (الفرق رقم 134صـ 223).
5- المُساعدَة والمَعونة (الفرق رقم 135صـ 224).

وأمَّا الفروق الثلاثة التي تكرَّرَ كلٌّ منها في موضِعَين من الكتاب فهي:

1- التهمة وسوء الظن مكرر في المتن برقمي21 و139، صـ 82 و228.

2- التوكل والاتكال مكرر في المتن برقمي: 30 و71، صـ 90 و140.

3- المذكِّر والقاصّ مكرر في المتن برقمي: 82 و122، صـ 160 و214.

- **بيان الفرق بين الصدر والقلب والفؤاد واللُّبّ:**

يقعُ الكتابُ في إحدى عشرة ومئة صحيفة (111)، وهو صغير الحجم مقارَنَةً بسَابِقِه، جاء مَتْنُه في سبعٍ وستين صحيفة (67) بالإضافة إلى مقدمة المحقق والفهارس الفنية؛ ويدور الكتابُ حولَ التفرقة بين هذه المفردات الأربع التي نَصَّ عليها في عنوانه، وكانت مقدمته أكثر إيجازًا من مقدمة الكتاب السابق؛ قال فيها: "فإن بعض أهل العلم سألني عن بيان الفرق بين الصدر والقلب والفؤاد واللُّب وما وراءها من الشِّغاف ومواضع العلوم، وأحبُّ أن أشرح له بتوفيقٍ الله تعالى إذ هو ميسِّر كل عسيرٍ، وبه أستعين"؛ وضمَّ الكتابُ ستَّةَ فصول؛ الفصل الأول في مقامات القلب، والثاني في الصَّدر، والثالث في القلب، والرابع في الفؤاد، والخامس في اللُّبِّ، والسادس في أنوار القَلب.

وقد ظهر بشكلٍ واضح في هذا الكتاب لجوءُ الحكيمِ إلى التشبيه كثيراً في شَرحِه الفروقَ بين هذه المفردات الأربع؛ إذ شبَّهها حينًا بالعَين، وحينًا بالدَّار، وحينًا بالحَرَم، وحينًا بالقنديل، وحينًا باللَّوز، يقول: " ولكن الصَّدر في القلب، هو في المقام من القلب بمنزلة بياض العين في العين، ومثل صحن الدار في الدار، ومثل الذي يحوط بمكَّة، ومثل موضع الماء في القنديل ... وأمَّا القلب فهو المقام الثاني فيه، وهو داخل الصدر، وهو كسَوادِ العَين الذي هو داخل العَين، وهو البَيَاض، وكَبَلَدِ مكّة الذي هو داخل الحَرَم، وكموضِع الفَتيلة من القنديل، وكالبَيتِ داخل الدار، وكاللَّوزِ داخل القشر الأعلى ... ومَثل الفُؤادِ في القلب، وهو المقام الثالث، كمثل الحدَقة في سوَادِ العَين، وكمثل المسجد الحرام في داخل مكَّة، وكمثل المَخدَع والخزانة في البيت، وكمثل الفتيلة في موضعها وسط القنديل، وكمثل اللُّب في داخل اللَّوز ... ومثل اللُّبِّ في الفؤاد كمثل نور البصر في العين، وكمثل نور السراج في فتيلة القنديل، وكمثل الدُّهن المكنون في داخل لُبِّ اللَّوز[35].

35) المصدر السابق: 19 : 21.

المبحث الأول

تصنيف الفروق اللغوية عند الحكيم الترمذي

مدخَل:

قبل الحديث عن تصنيف الفروق الواردة عند الحكيم الترمذي أعرِضُ بشكلٍ موجَزٍ لمنهج الحكيم وطريقته في شرحه تلك الفروق.

لقد التَمَسَ الحكيمُ الترمذي إيضاحَ الفروق الدقيقة بين المفردَات والتراكيب التي اشتمل عليها الكتابان محلُّ الدراسة من خلال الاستشهاد بالقرآن الكريم والحديث الشريف، والاستئناس بأقوال الصحابة والتابعين وأفعالهم، كما لَجَأَ إلى التشبيه في مواضعَ كثيرَةٍ، واستعانَ أحيانًا ببعض الكلمات الأعجمية لإيضاح تلك الفروق، كما استعان في عنوانات بعض الفروق بالمفعول لأجله والجار والمجرور (من أجل) للتفرقة بين طرفي الفرق؛ وهو ما سيتضح فيما يأتي.

1- شاع في الكتابَين محلِّ لدراسة الاستشهاد بالقرآن الكريم والحديث الشريف؛ ولا تكاد تخلو صفحة من صفحات الكتاب من آية أو أكثر من القرآن الكريم، كما أكثر الحكيم من الاستشهاد بالأحاديث النبوية الشريفة؛ ومن ذلك قوله: "وقد ذكر الله ﷻ مرض القلب في تنزيله؛ فقال: ﴿فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ﴾[36]، ورُوي عن رسول الله ﷺ أنه قال لسلمان: قُل: اللَّهُمَّ إني أسألك صحَّةً في إيمان"[37]، وذكر الدكتور محمد الجيوشي محقق كتاب الفروق ومنع الترادف أن بعض هذه الأحاديث مما انفرد بروايته الحكيم الترمذي، ومن ذلك ما ذكره تعقيبًا على ما أورَدَه الحكيمُ رِوايَةً عن رسول الله ﷺ أنه قال: "مَا رُزِقَ عبدٌ شيئًا أفضَلَ من إيمانٍ صلْب"؛ إذ عقَّبَ بقوله: "الحديث ممَّا تفَرَّدَ به الحكيم الترمذيّ ومعناه صحيح"[38].

2- الاستئناس بأقوال الصحابة والتابعين والعارفين؛ وظهر ذلك في كثيرٍ من المواضع، منها قوله: "وقالت عائشة رضي الله عنها: يا رسول الله، إن أبا بكرٍ رجُلٌ أسيفٌ، ومتى ما قام مقامَكَ رَقَّ"[39]،

---

36) سورة الحجرات: 32.

37) الفروق:55.

38) المصدر السابق: 75، حاشية:1، وينظر:63.

39) المصدر السابق: 39.111

وقوله: "رُوي لنا أن ثلاثة نفرٍ من التابعين كانوا في مكانٍ فتحدثوا عن آمالهم ..."[40]، وقوله: "قال بعضُ العَارِفين: إنما سُمِّي الفُؤادُ فؤادًا لأن فيه ألفَ وَادٍ"[41].

3- اللجوء إلى التشبيه كثيرًا لإيضاح الفروق بين المفردات، وخاصة في تفرقته بين الصدر والقلب والفؤاد واللب؛ فيَرى الحكيمُ أن (القَلب) –على سبيل المثال– اسمٌ جامِعٌ لغَيرِه، فيشبِّهه خمسة تشبيهات؛ مرةً بالعَين، ومرَّةً بالدار، ومرةً بالحَرَم، ومرة بالقنديل، ومرة باللَّوز، يقول: "اعلَمْ –زادَكَ اللهُ فِقهًا في الدين– أن اسم القلب اسمٌ جامعٌ يقتضي مقامات الباطن كلها، وفي الباطن مواضع؛ منها ما هي من خارج القلب، ومنها ما هي من داخل القلب، فأشبه اسم القلب اسم العين؛ إذ العين اسم يجمع ما بين الشفيرتين من البياض والسواد والحدقة والنور الذي في الحدَقة ... وكذلك اسم الدار اسم جامع لما يحفظ بحيطانها من الباب والدهليز وصحنها ... وكذلك اسم الحَرَم اسم جامع للحرم من حوالي مكة والبلد والمسجد والبيت العتيق ... وكذلك اسم القنديل اسم جامع للزجاجة ... وكذلك اسم اللَّوز اسم جامع للقِشرِ الخارج الذي فوق القشر الصلب"[42]، ويكرر الحكيم استعمال المشبهات بها السابقة في حديثه عن الصدر[43].

4- استَعانَ الحكيم الترمذي بالمفعول لأجلِه في عنوانات بعض الفروق، كما استعان في موضِعَين بالجار والمجرور (مِن أجل)؛ فقد يكون الفِعلُ واحدًا في طَرَفي الفَرق، ويأتي بالمفعول لأجلِه أو الجار والمجرور لإيضاح المعنى الباطن الذي يؤكّد عليه دائمًا، فيكون المفعول لأجلِه وسيلتَه لبيان الفَرق؛ وظَهرَ ذلك فيما يأتي:

أ- الفرق بين **(التمنِّي للموت شوقًا أو بَرَمًا)**[44]؛ فتَمنِّي الموت يكون محمودًا عند الحكيم بالنظر إلى سبَبِه (الشوق)، ويكون مذمومًا إذا كان سببه بَرَمًا وضِيقًا.

ب- الفرق بين **(ترك الفضول زُهدًا، وتركه مَلالَةً)**[45]؛ فَترك الفُضولِ مُشتَرَكٌ بين طَرفي الفَرق، وجاءَ الفرقُ نتيجَةً للمفعول لأجلِه (زُهدًا)، في الطرف الأول، و(ملالَة) في الطرف الثاني.

ج- الفرق بين **(استِماع الكلام تزوُّدًا وافتِقارًا، وبين استِماعه تلذُّذًا واحتِرافًا)**[46].

---

40) المصدر السابق: 40.106

41) بيان الفرق بين الصدر والقلب والفؤاد واللب: 52. 41

42) المصدر السابق: 17–42.18

43) المصدر السابق: 43.27

44) الفروق: 44.207

45) المصدر السابق: 45.198

46) المصدر السابق: 226.

واســـتعان في موضِـــعَين بالجار والمجرور (مِن أجل) بدلًا من المفعول لأجله لبيان مرجع الفرق؛ الذي يأتي نتيجةً للمُضاف إليه الذي يعقب الجار والمجرور:

- الموضـــع الأول في قوله: "الفرق بين التعظيم للدنيا من أجل الله وبين تعظيمها من أجل النفس"[47]؛ فتعظيم الدنيا مُشـــتَرَكٌ بين طَرَفي الفَرق، ويختلف المعنى تبعًا لاختلاف المُضـــاف إليه، وهو لفظ الجلالة (الله) في الطرف الأول، و(النفس) في الثاني.
- الموضـع الثـاني فـي قولـه: "الفـرق بـين اسـتثقال الأغنيـاء مـن الوجـد علـيهم مـن أجـل منـع الحقوق وبين استثقالهم حسدًا ومنافسةً"[48].

5- استعان الحكيم بكلماتٍ أعجمية أحيانًا في أثناء شرحه لبعض الفروق؛ ومن ذلك:

- يبـدأ كلامـه فـي الفـرق بـين (الهَـمّ والغَـمّ) بقولـه: "فَـالهَمُّ بالأعجميـة (أنـدوه)، والغَـمُّ بالأعجميـة (بوشش)، وهو الغطاء على القلب"[49]).
- ويقـول فـي حديثـه عـن الظرافـة والكياسـة: "فالظرافـة مشـبَّهة لـق، إلا أن الكَياسـة بالأعجميـة (زيـرك) معنـاه: أي نفطـن للـدقائق والصـغائر، ويُـداخلها الكياسـة حتـى يسـتبطن خبـرًا، والظرافـة بالأعجمية (بافته)، معناه: أي واجد للأمور، مدرك لها في أوقاتها"[50]).
- ويقـول فـي الفـرق بـين (المراوغـة والجربـزة): "الجربَـزَة هـي (الدسـنان) بالأعجميـة، فهـي لعبـدِ حشو قلبِه المكر والخيانة"[51].

ومن خلال دراسة هذه الفروق وجدَ البحث أن الحكيم الترمذي لم يقتصِر على التفرقة بين الكلِماتِ المُفردة، مثل تفرِقَتِه بين الصدر والقلب والفؤاد واللُّبّ، التـي جعلها في عنوان أحد الكتابين موضعِ الدراسة، أو ما جاء في الكتاب الآخر (الفروق ومنع التـــــرادف)؛ كَتفرقته بين (الأناة والتســـويف) و(الإلهام والوسـوسـة)، بل فَرَّق بين بعض المركَّبات؛ مثل تفرِقَتِه بين مرَكّبَين إضـافيَّين، أو مصـدَرَين ومُتعلَّقهما؛ فالأول نحو تفرِقَته بين (خُشـوع القَلب) و(خشـوع النفاق)، و(خشـية الله ﷻ وخشـية الخَلق)، والثاني نحو

47) المصدر السابق: 1209.
48) المصدر السابق: 249.
49) المصدر السابق: 122.
50) المصدر السابق: 184.
51) المصدر السابق: 218، وينظر :52، و108، و164، و176، و177.

تفرقته بين (الهَرَب من الذُّلّ وطلب العِزّ)، و(جود حلاوة الطاعة بحلاوة التوحيد ووجودها بحلاوة المحبة)، وجاءت كلُّها في إطار التوجُّه الصوفي الذي كان دافِعَهُ لتناول هذه الفروق.

أي أن هذه الفروق تنوَّعَت بين الإفراد والتركيب؛ فجاءَت أحيانًا في صُـــورة أســـماءٍ مُفرَدَةٍ، وفي أحيانٍ أخرى جاءَت في صُورَةِ مُركَّباتٍ؛ وإن غَلَبَت صيغة الإفراد على ما جاءَ في صورةِ مُرَكَّباتٍ؛ إذ بَلَغَ عددُ الفروق التـــــي جاء طَرَفَا الفرقِ في كُلٍّ منها في صورة مُفْرَداتٍ تسعة عَشَرَ ومِئةَ فرقٍ (119)؛ بما يمثِّلُ 77 % تقريبًا نِسبَةً إلى مجموعِ الفروق التـــــي اشتمل عليها الكِتابَانِ والبالغِ عددُها خمسةً وخمسين ومِئَةَ فرقٍ (155)، وجاءت الفروقُ الباقية وعددها ستّة وثلاثون فرقًا (36) في صـورَة مُرَكَّباتٍ، بما يمثل النسبة الباقية من إجمالي الفروق وهي 23%.

وبناءً على ذلك يمكن دراسة هذه الفروق تحت القِسمين الآتيَين:

1- الفروق في الأسماء المُفرَدَة.
2- الفروق في الأسماء المركَّبَة.

أولًا: الفروق في الأسماء المُفرَدة:

بدراسـة الفروق التـــــي جاءت في صـورة أسـماء مُفرَدَةٍ من الوِجهَةِ الصـرفية لُوحِظَ أنها جاءت على الصيغة المَصدريَة غالِبًا، وجاءَ قليلٌ منها في صورة أسماءٍ غير مصادر، وكانت المصادر متنوّعَةَ الصِّيَغِ من الثلاثي وغيـــــره، كما جاءت الأسـماء أحيانًا مُجرَّدة، وأحيانًا مزيدةً بحرفٍ، أو بحرفَين، وأحيانًا أخرى جاءت على صيغة اسم الفاعِلِ مُفردًا ومجموعًا، وبيان ذلك على النحو التالي:

- تمثَّلت الأسماء غبر المصادر فيما يأتي:
  - الثلاثي المجرَّد: الصَّدر، والقلب، واللُّبّ، واللَّقَب.
  - المزيد بِحرف: الفُؤاد، والبُشْرَى، والمِنَّة، والسُّمْعَة، والرّشوَة، والسُّرعَة.
  - المزيد بحرفَين: المَسْكَنَة، والهَدِيَّة.
  - اسم الفَاعل من الثلاثي: الدَّاعِي، والواعِظ، والقَاصّ.
  - اسم الفاعل من غير الثلاثي: المُذَكِّر، والمُستعمِل، والمُستَبِدّ.
  - اسم الفاعل مَجموعًا جمع تكسير للكَثرَة: رُوَاة، ورُعاة.

- وتَنَوَّعَت الفروقُ التـــي جاءَت في صُورَةِ مصادِرَ ما بينَ مصادِرِ أفعالٍ ثُلاثِيَّةٍ وأُخرَى غَيـرِ ثُلاثِيَّةٍ، كما لم يكُن طَرَفَا الفَرق مُتَّحِدَي الصِّيغَةِ دائمًا في تلك المُفرَدَاتِ التـــي اختارَها الحكيم، بَل اتَّحَدَت الصِّيغة الصرفية في فروقٍ قليلة، واختَلَفَت في أغلب الفروق؛ وبيان ذلك فيما يأتي:

1- الفروق التي جاءت في صورة مصادر أفعالٍ ثُلاثية مُجرَّدة:

تمثَّلَ ذلك في واحِدٍ وثلاثينَ مصدَرًا (31)، هي:

الأمَل، الأَنَاة، البَذْل، البِـرّ، البَشَاشَة، البَلَادة، البَهْتَة، الجُبن، الجَفاء، الجَمْع، الحِقد، الخَوف، الرجاء، السفاهة، الشِّمَاتَة، العَجْز، العَزْم، الغَمّ، الكَسْب، الكِيَاسَة، المَلَق، المَهَابَة، النجوَى، النزاهَة، النِّسبَة، النِّيَّة، الهُدوء، الهَشَاشَة، الهَمّ، الوَجد، الوَسْوَسَة.

يُلاحَظُ تنَوُّعُ الصيغِ الصرفية التـــي جاءت عليها هذه المصادر، ولم تَتَّحد الصيغ الصرفية بين طرفَي هذه الفروق إلا في خمسَةٍ منها؛ فكانت التفرقةُ غالِبًا بين صيغتين مختلفتين؛ مثل (النيَّة والأمَل)، و(الأَنَاة والبَلادَة)، و(البِـــرّ والمَلَقِ)، فجاء الطَّرَفُ الأولُ من الفَرق الأخيـــر –على سبيل المثال– على (فِعل)، والثاني على (فَعَل).

أمَّا الفروق الخمسة التي تميَّزَت من بينها بمَجيءِ طرَفَي الفرقِ في كُلٍّ منها على صيغةٍ واحِدَة، فكان ثلاثةٌ منها على صـيغَة **(فَعْل)**؛ وهي: (العَزم والبَذْل)، (الكَسْـب والجَمْع)، (الهَمّ والغَمّ)، وجاء طرفَا الفرق الرابع على **(فَعَالَة)** في (البَشَـاشَـة والهَشَـاشَـة)، والخامس على صـيغة جمع التكسـير (فُعَال) في (الرُّوَاة والرُّعاة).

2- الفروق التي جاءت في صورة مصادر أفعالٍ غير ثلاثية:

تمثَّلت هذه الفروق في ثمانيةٍ وستِّين مصدَرًا (68)، هي:

الاتِّكال، الاحتمال، الاستراحَة، الاستقصـاء، الارتِفاق، الاقتِدار، الإلهام، الانتصـار، الانتِقام، التآلُف، التأني، التأنيب، التبصـــيص، التثاقُل، التجسُّـــس، التجَلُّد، التجمُّل، التحذير، التحسُّـــس، التحلِّي، التحمُّد، التخويف، التدبير، الترائي، التـــزيُّن، التسلُّط، التسـويف، التشـدُّد، التصـنُّع، التطفيل، التظرُّف، التعَزُّز، التعيُّش، التقتيـر، التقدير، التماوُت، التمنّـي، التنديد، التنفُّس، التهجُّد، التواضُع، التوقُّع، التوكّل، الجَربَزَة، المُبَادَرَة، المباعَدَة، المُباهَاة، المجادَلَة، المُجاهَدَة، المُحاجَّة، المُداهَنَة، المِراء، المُراوَغَة، المســـاعدَة،

المُسامَاة، المُشاكَلَة، المُعاتَبَة، المغاضَبة، المُغَالَبَة، المفاتشة، المُقارَضَة، المقايَسة، المُناضَلَة، المناظَرَة، المُناوَأَة، المُوارَبَة، المُوافَقَة، النداء.

تنوَّعت الصيغُ الصرفية التـــي جاءت عليها هذه المصادر فَكانت على تسع صِيَغٍ؛ كان أكثرُها ورودًا صيغة (مُفَاعلة)، وجاء عليها اثنان وعشرون مصدرًا (22)، تلَتْها صيغة (تَفَعُّل)، وجاء عليها تسعةَ عشرَ مصدرًا (19)، ثم صيغة (تَفعيل) وجاءَ عليها عشرَةُ مصادر (10)، تلتَها صيغة (افتِعال) وجاء عليها ستَّة مصادر (6)، ثم (تَفاعُل) وجاء عليها خمسة مصادر (5)، ثم صيغتَا (فِعَال) و(استِفعال)؛ وجاء على كُلٍّ منهما مصدران، ثم صيغة (إفعال) وجاء عليها مصدرٌ واحِد، وأخيـرًا جاءت كلمة (جَرْبَزَة) وهي كلمة معرَّبةٌ من الفارســية؛ قال الجواليقي: "(الجُرْبُز) ليس من كلام العَربِ، وهو الرجلُ الخَبُّ، وهو فارسيٌّ معرَّبٌ"[52].

وبيان ذلك على النحو الآتي[53]:

1 **(مُفَاعَلَـــة)**: المُبَـادَرَة، المباعَـدَة، المُباهَـاة، المجادَلَـة، المُجاهَـدَة، المُحاجَّـة، المُداهَنَـة، المُراوَغَـة، المسـاعدَة، المُسـامَاة، المُشـاكَلَة، المُعاتَبَـة، المغاضَـبة، المُغَالَبَـة، المفاتشـة، المُقارَضَة، المقايَسة، المُناضَلَة، المناظَرَة، المُناوَأَة، المُوارَبَة، المُوافَقَة.

2 **(تَفَعُّل)**: التأني، التجسُّس، التجَلُّد، التجمُّل، التحسُّس، التحلِّي، التحمُّد، التـــزيُّن، التسلُّط، التشدُّد، التصنُّع، التظرُّف، التعَزُّز، التعيُّش، التمنّي، التنفُّس، التهجُّد، التوقُّع، التوكّل.

3 **(تَفعِيل)**: التأنيب، التبصيص، التحذير، التخويف، التدبير، التسويف، التطفيل، التقتيـــر، التقدير، التنديد.

4 **(افْتِعال)**: الاتّكال، الاحتمال، الارتِفاق، الاقتِدار، الانتصار، الانتِقام.

5 **(تَفَاعُل)**: التآلُف، التثاقُل، الترائي، التماوُت، التواضُع.

6 **(فِعَال)**: مِراء، نِداء.

7 **(استِفعَال)**: استِراحَة، استِقصاء.

---

52) عبّر الحكيم بـــ (الجربزة) في أكثر من موضع، انظر: الفروق: 90، و97 و98 و114، وقد أدرجتُها ضمن المصادر لاستعمالها مصدرًا دائمًاعنده سواء في تعريفه لها بـــ (المخاتلة)،(الفروق:90)، أوإدراجها بين مجموعة مصادر في قوله بموضعٍ آخر:"الغِلّ والحقد والحَسَد والخِداع والجَربَزَة والدهاء والمَكر.."(الفروق:97)، وانظر: أبو منصور الجواليقي، المعرّب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم، تحقيق أحمد شاكر، دار الكتب المصرية، 1969م: 144.

53) رتبتها ترتيبًا تنازليًّا، من الأكثر عددًا إلى الأقلّ عددًا.

8 **(إِفْعَال)**: إلهام.

9 **(فَعْلَلَة)**: جَرْبَزَة.

ولم تكُن الصيغةُ الصرفيةُ مُتَّحِدَةً لِطَرَفَي التركيب العَطفِيّ في مُعظَمُ الفروق؛ بل اختلفَت الصيغُ بين كلٍّ من الطَرَفَين؛ فقد يكونُ المعطوف عليه على (مَفَاعَلَة) والمعطوف على (فِعَال)؛ كما في (المُفَاتَشَة، والمِراء)، أو يأتي أحدُهما على (تَفَاعُل) والثَّانِي على (تَفَعُّل)؛ كما في (التواضُع والتصنُّع)، أو يجيءُ أحدُهما على (افتِعال) والثاني على (فَعْل) نحو: (الاحتِمال والعَجز)، أو (إِفْعَال) و(فَعْلَلَة)؛ نحو: (الإلهام والوسوَسة).

أمَّا ما اتَّحدَت فيه الصيغَةُ الصرفية في طَرَفَي الفَرق فتمثَّلَ في خَمسَةَ عشَرَ فَرقًا، توزَّعتْها خَمسُ صِيَغٍ صرفية؛ جاءَ أكثَرُها على (مُفَاعَلَة) وعددها ثمانيةُ فُروقٍ، وجاءَ على (تَفَعُّل) أربَعَة فُروق، وجاءَ فَرقَان على (تَفعِيل)، وفَرقٌ واحدٌ على (افتِعال)، وبيانها كالآتي:

- **(مُفَاعَلَة)**: جاء عليها: (المُباعَدَة والمُنَاوَأَة)، (المُبَاهاة والمُسامَاة)، (المُحَاجَّة والمُجَادَلَة)، (المُدَاراة والمُدَاهَنَة)، (المُعَاتَبَة والمُغاضَبَة)، (المُقايَسَة والمُشَاكَلَة)، (المُنَاظَرَة والمُغَالَبَة)، (المُوافَقَة والمُوَارَبَة).
- **(تَفَعُّل)**: جاء عليها: (التَّجَمُّل والتَّحَمُّد)، (التَّجَسُّس والتحَسُّس)، (التَّحَلِّي والتَّزَيّن)، (التَّظَرُّف والتصَنُّع).
- **(تَفعِيل)**: جاء عليها: (التحذير والتنديد)، (التقدير والتقتير).
- **(افتِعال)**: جاءَ عليها: (الانتِصار والانتِقام).

الخُلاصة:

تمثَّلت الفروق التي ورَدَت عن الحكيم الترمذيّ في صورة أسماء مفردَة في تسعة عشر ومئة اسمٍ (119)، بنسبة 77% من جُملَةِ الفروق التي قامت عليها الدراسة البالغ عددها خمسةً وخمسين ومئة اسم (155).

مثَّلَت الصيغة المصدرية من الثلاثي وغيره النسبة الغالبة على تلك المفردات؛ فجاء من مصادر غير الثلاثي ثمانيةٌ وستُّون مصدرًا (68)، وجاء من الثلاثي واحدٌ وثلاثون مصدرًا (31)؛ وجاء عشرون اسمًا (20) من غير المصادر.

اختلفت الصيغ الصرفية بين طَرَفي الفَرق في أغلب هذه الفروق التي جاءت في صورة أسماء مفردة، واتَّفقت في القليل منها على النحو السابق ذِكرُه.

ثانيًا: الفروق في الأسماء المُركَّبَة:

بَلَغ عددُ الفروق التي جاءت في صورَة مُرَكَّباتٍ سبعةً وثلاثين فَرقًا (37)، وتمثَّلَت في نَمَطَين؛ إذ فَرَّق الحكيم الترمذي بين بعض المُرَكَّبات الإضـــافية من جهةٍ، والأســـماءِ المُفرَدَةِ من الجهة الأخرى، وأحيانًا كانت التفرقةُ بين مُركَّباتٍ إضافية في الجهتَين، كَما فرَّقَ بين بعض المصادر ومتعلَّقاتِها، ومن ثَمَّ سأتناول ذلك في نَمَطَين: الأول المركبات الإضافية، والثاني المُركَّبات المصدرية.

- **النمط الأول: المركَّبات الإضافية:**

بلغ عددُ الفروقِ التـــي جاءت في صورة مُرَكَّباتٍ إضافية (مُضاف + مضاف إليه) ثلاثةً وعشرين فرقًا (23)؛ وجاءت على صُـــورَتَين؛ إذْ كان أحدُ طَّرَفَي التركيب العَطفِيّ أحيانًا مركَّبًا إضـــافيًّا، والطرف الآخرُ كلمةً مُفرَدَةً، كَما كانَ الطرفان أحيانًا مُرَكَّبَين إضـــافيَّين؛ ومن ثمَّ يُمكِنُ دِراسَـــةُ هذا النَّمطِ في صورَتَين باعتبار التركيب العطفي الذي ورَدَ عليه الفَرق:

- **الصورة الأولى: مَا كان أحد طَرَفي التركيب العطفِي مُركَّبًا إضافِيًّا والطرف الآخر مُفردًا:**

أورَدَ الحكيمُ الترمذيُّ أربعةَ فروقٍ كانَ طرفُها الأول (المعطوف عليه) اســمًا مُفردًا مُعرَّفًا بـــــ(أل)، والطرف الآخر (المعطوف) مُركَّبًا إضافِيًّا، كَما جاءَ الطرفُ الأولُ في فَرقَينِ مُركَّبًا إضافيًّا، والثاني مُفردًا، وجاء في أحدُ الفروق المعطوف عليه مفردًا متبوعًا بمتعلَّقُه النحوي (الجار والمجرور)، كما تميَّـــزَ أحدُ الفروق بمجيء معطوفَين اثنَين في الطرف الثاني وليس معطوفًا واحدًا، كذلك تميَّــز أحدُ الفروق بمجيءِ صـدر التركيب العطفي مركَّبًا إضـافِيًّا مُتداخِلًا (مضـاف أول+ مضـاف إليه (وفي الوقت نفسـه مضـاف ثانٍ) + مضاف إليه)، وجاء المعطوفُ مُفردًا.

ومن ثمَّ ضمَّت هذه الصورة تسعة فروق يمكن إيضاحها في النماذج الخمسة الآتية:

- **النموذج الأول: مُعرَّف بـ(أل) + و + مضاف مجرَّد من (أل) + مضاف إليه معرَّف بـ(أل)**

جـاء الطـرَف الأول (المعطـوف عليـه) مفـردًا، والطـرف الثـاني (المعطـوف) مركَّبًـا إضـافِيًّا؛ وكان ذلك في أربعة فروقٍ هي:

1- التُّهمَة وسوء الظنّ.
2- الحِلم ودناءة النفس.
3- الفِكرَة وحديث النفس.

4- التأديب وسوء العِشرة.

- **النموذج الثاني: مضاف مجرَّد من (أل) + مضاف إليه معرّف بـ (أل) + و + معرَّف بـ (أل)**

جاء الطرَف الأول (المعطوف عليه) مركَّبًا إضافِيًّا، والطرف الثاني (المعطوف) مفردًا؛ وذلك في الفرقين الآتيين:

1- إظهار النعمة والاختيال.

2- سلطان الحق والفظاظة.

- **النموذج الثالث:**

مضاف مجرَّد من (أل) + مضاف إليه معرّف بـ (أل) + و+ معرَّف بـ (أل) + حرف جر+ ضمير غيبة

جاء الطرَف الأول (المعطوف عليه) مركَّبًا إضافِيًّا، والطرف الثاني (المعطوف) مفردًا ومتعلَّقُه النحوي (الجار والمجرور)؛ وظهر في الفَرق الآتي: حَمَلَة القرآن والتالون له.

النموذج الرابع:

مضاف مجرَّد من (أل) + مضاف إليه معرّف بـ (أل) + و + معرَّف بـ (أل) + و + معرَّف بـ (أل)

جاء الطرَف الأول (المعطوف عليه) مركَّبًا إضافِيًّا، وجاءَ بَعده مَعطُوفان كُلٌّ منهما اسم معرَّف بـ (أل)؛ وظهر في الفَرق الآتي: سلامة الصدر والبلاهة والغفلة.

- **النموذج الخامس:**

مضاف مجرَّد من (أل) + مضاف إليه مجرد من (أل) + مضاف إليه مُعرَّف بـ (أل) + و+ معرَّف بـ (أل)

جاء الطرَف الأول (المعطوف عليه) مركَّبًا إضافِيًّا مُتَداخِلًا؛ أي أنه تكون من مضافَين، الثاني منهما في الوقت نفسه مضافٌ إليه، ثم مضاف إليه آخر، وجاء الطرف الثاني (المعطوف) مفردًا؛ وكان ذلك في الفَرق الآتي: حُسن ظَنِّ العَطائِيَّة والنفسية.

➢ **الصورة الثانية: مَا كان كِلا طَرَفي التركيب العَطفي مُركَّبًا إضافِيًّا:**

جاءَ صَدرُ كُلٍّ من المعطوف عليه والمعطوف (المضاف) اسمًا مُكَرَرًا، وكان الاختلاف -وهو محلّ التفرقة الدلالية- في العجُز (المضاف إليه)؛ نحو: **(حُبّ الإمامة وحُبّ الرياسة)**، فالمضاف وهو كلمة (حُبّ) تكررت في صدر المعطوف عليه والمعطوف، وكان الاختلاف الذي أدّى إلى الفَرق عجز المركب الإضافي (المضاف إليه) وهو كلمتا: الإمامة، والرئاسة، وعلى العكس من النموذج السابق جاء التركيب

العطفي في أحدِ الفروق متَّفِقَ العَجُز (المضـــاف إليه) مختلفَ الصَّـــدر (المضـــاف)، وهو محلّ التفرقة الدلالية؛ وذلك في: **(سعة الصدر وجلاء الصدر)**.

كما اتَّفَقَ المركَّب الإضـــافي في كلا الطرفين، وكان الاختلافُ محلُّ التفرِقَةِ في المفعول لأجلِه في كُلٍّ منهما؛ نحو **(تَرْك الفضـــولِ زُهدًا وتركه مَلالَةً)**؛ اتفقَ المُضـــافُ (تَرك) في كلا الطرفَين، وجاءَ المُضـاف إليه في الطَّرَفِ الأول اسـمًا ظاهرًا (الفُضُـول)، وفي الطرف الثاني ضـميرًا عائدًا على الاسـم الظـاهر في الطرف الأول، وكـانت التفرقـة بينهمـا في المفعول لأجلـه في كُلٍّ منهمـا؛ (زُهدًا) في الأول، و(مَلالَة) في الثاني.

وعلى ذلك يُمكنُ إيضاح هذه الصورة التي اشتملتت على أربعة عشر فَرقًا (14) في النماذج الستَّة الآتية:

- **النموذج الأول:**

مضاف مجرَّد من (أل) + مضاف إليه معرّف بـ (أل) + و + مضاف مجرَّد من (أل) مكرَّر + مضاف إليه معرّف بـ (أل)

اتَّفَـقَ المضـاف فـي طرَفَـي التركيـب العطفـي واختلَـفَ المضـاف إليـه؛ وتمثَّـلَ هـذا النمـوذج في ستة فروقٍ؛ هي:

1- حُبّ الإمامة وحُبّ الرياسة.
2- خِدمة الله وخِدمة الحقّ.
3- خشوع القلب وخشوع النفاق.
4- خشية الله ﷻ وخشية الخلق.
5- عزة القلب وعزة النفس.
6- فَرح القَلب وفرح النفس.

- **النموذج الثاني:**

مضاف مجرَّد من (أل)+ مضاف إليه معرّف بـ(أل) +مفعول لأجله + و +مضاف +مضاف إليه ضمير الغيبة +مفعول لأجله

اتِّفق المضـــاف في طَرَفي الفرقِ، وجاء المضـــاف إليه في الطرف الثاني ضـــميرًا عائدًا على المضـــاف إليه في الطرف الأول، واختلفَ المفعول لأجله في كُلٍّ من الطرفين لأنه محلّ التفرقة

الدلالية، وجاء أحيانًا مفردًا (في الفرق الأول)، وأحيانًا شبه جملة (في الفرق الثاني)، وأحيانًا مركَّبًا عطفيًّا (في الفرقين الثالث والرابع)، وذلك على النحو الآتي:

1- تَرْك الفضولِ زُهدًا وتركه مَلاَلَةً.

2- تعظيم الدنيا من أجل الله وتعظيمها من أجل النفس.

3- استماع الكلام تزوُّدًا وافتِقارًا واستماعه تلذُّذًا واحترافًا.

4- صحبة المتقين تخلُّقًا وتأدُّبًا وصحبتهم ترائيًا واندِساسًا وختلًا لدنياه بدينه.

- **النموذج الثالث:**

زاد هذا النموذج على النموذج السابق بالتعليل للمفعول لأجله في صدر التركيب العطفي لأنه محل التفرقة بقوله (من أجل منع الحقوق)؛ وذلك في الفرق الآتي:

استثقال الأغنياءِ من الوجد عليهم من أجل منع الحقوق واستثقالهم حَسَدًا ومُنَافَسَةً.

- **النموذج الرابع:**

مضاف مجرَّد من (أل)+ مضاف إليه معرّف بـ (أل) + جار ومجرور + مضاف ليه + مضاف إليه آخر +مفعول لأجله + و +مضاف +مضاف إليه ضمير الغيبة + جار ومجرور + مضاف إليه + مفعول لأجله

تضمَّن هذا النموذج التعليل للمركَّبَين الإضافيَّين: في صدر التركيب العطفي بقوله: (لإزاحة عِلَلِ النفس) وفي عَجُزِه بقوله: (لِقَضَاءِ النُّهمَة)، ثم ذكر المفعول لأجلِه للمعطوف عليه (تديُّنًا)، وللمعطوف (عُلُوًّا)؛ وذلك في الفرق الآتي:

طلب الغِنى لإزاحة علل النفس تدينًا وطلبه لقضاء النُّهمة عُلُوًّا.

- **النموذج الخامس:**

مضاف مجرَّد من (أل) + مضاف إليه مجرد من (أل) + مضاف إليه معرّف بـــ (أل) + جار ومجرور +مضاف إليه و + مضاف + مضاف إليه ضمير الغيبة + جار ومجرور+ مضاف إليه معرّف بـ (أل)

تميزَ هذا النموذج عما سبق بمجيء المركب الإضافي المتداخل (مضاف + مضاف إليه + مضاف إليه آخر) في صَدر التركيب العطفي؛ وذلك في قوله:

وجود حلاوة الطاعة بحلاوة التوحيد ووجودها بحلاوة المحبة

- **النموذج السادس:**

مضاف مجرَّد من (أل) + مضاف إليه معرّف بـــ (أل) + و+ مضاف مجرَّد من (أل) + مضاف إليه معرّف بـ (أل) مكرَّر

في هذا النموذج اختلَفَ المضـــاف في طَرَفي الفرقِ واتَّفَقَ المضـــاف إليه؛ وكان ذلك في الفرقِ الآتي: سعَة الصدر وجَلَاء الصدر.

- **النمط الثاني: المُركَّبات المصدريَّة (المصادر ومتعلَّقاتها):**

بلـغ عـددُ الفـروقِ التـي جـاءت فـي صـورة مصـادر ومتعلَّقاتِهـا أربعـةَ عشـرَ فرقًـا (14)، وظَهَرت على عِدَّة صُوَرٍ، يمكن بيانها على النحو التالي:

- **الصورة الأولى:** جـاء المصـدرُ مُشـترَكًا بـين طرفِـي التركيـب العطفـي؛ ظـاهِرًا أحيانًـا، ومقـدَّرًا أحيانًـا أُخـرى؛ وكـان الاخـتلاف _ وهـو محـلُّ الفَـرق _ فـي المفعـول لأجلِـه، أو المتعلَّـقِ النحـوي (الجـار والمجـرور)؛ واشـتَملت هـذه الصـورة علـى سـبعَةِ فـروقٍ؛ جـاء كُـلُّ فرقٍ منها على نموذجٍ مختلِفٍ عن الآخر وذلك على النحو الآتي:

- **النموذج الأول: مصدر + جار ومجرور + و + المصدر نفسه + جار ومجرور**

جـاء المصـدر ظـاهرًا فـي طَرَفَـي المركـب العطفـي متبوعًـا بمتعلقـه النحـوي (الجـار والمجرور)؛ وتمثَّلَ في: الغضب للحق والغضب للنفس.

- **النموذج الثاني: مصدر + جار ومجرور + و + المصدر نفسه + جار ومجرور + مضاف إليه**

اختلف عن النموذج السابق بزيادة مضاف إليه، وتمثَّلَ في: حب في الله وحب في ذات النفس.

- **النموذج الثالث:**

مصدر + مفعول لأجله + جار ومجرور + و + المصدر نفسه + مفعول لأجله + و + معطوف

جـاء المصـدرُ متبوعًـا بمفعـولٍ لأجلـه، فالجـار والمجـرور، فـالواو العاطفـة، فالمصـدر نفسـه مكـرَّرًا، فمفعول لأجله معطوفًا عليه، فواو العاطفة، فمعطوف؛ وتمثَّلَ في:

الصمت توقِّيًا من الآفات والصمت تكبُّرًا وعيًّا.

- **النموذج الرابع:**

مصدر + جار ومجرور + مفعول لأجله + و + المصدر نفسه + مفعول لأجله + و + معطوف

اختلف هذا النموذج عن النموذج السابق بتقدُّم الجار والمجرور على المفعول لأجله الذي جاء مركَّبًا إضافِيًّا؛ وكان ذلك في الفَرق: الهرب من الفقر مخافة الفتنة والهرب منه أنَفةً وعارًا.

- **النموذج الخامس:** **مصدر + جار ومجرور + و + جار ومجرور + مضاف إليه**

تميَّز هذا النموذج عن النماذج السابقة بمجيء المصدرِ نفسِه مُقَدَّرًا في الطرف الثاني من التركيب العطفي (المعطوف)؛ وتمثَّلَ في: التكبُّر بالحق وبغير الحق.

- **النموذج السادس:** **مصدر + جار ومجرور + مفعول لأجله + أو + معطوف**

اختلف هذا النموذج عن النموذج السابق بزيادة المفعول لأجلِه، واستعمال أداة العطف (أو) قبل المعطوف بدلًا من الواو، وهو ما لم يرد في غيرِ هذا الفرق من الفروق محلِّ الدراسة، وكان ذلك في الفرق: التمنِّي للموت شوقًا أو بَرَمًا.

- **النموذج السابع:** **مصدر + جار ومجرور + مضاف إليه + و + مصدر آخر + جار ومجرور**

احتوى هذا النموذج على مصدرَين مختلِفَين، وليس مصدرًا واحدًا مُكرَّرًا ك النماذج السابقة، وكان ذلك في الفرق: النشر عن نِعم الله والفخر به.

- **الصورة الثانية:** جاء الطرف الأول مُركَّبًا مصدريًّا، والطرف الثاني مُرَكَّبًا إضافِيًّا؛ فكانت على النحو الآتي: **مَصدر + جار ومجرور + و + مضاف + مضاف إليه**

وتمثَّلت هذه الصورة في فرقَين هما:

1- الذَّب عن العِرض وإشاعة الفاحشة.

2- الهَرَب من الذُّلّ وطلب العِزّ.

- **الصورة الثالثة:** جاء الطرف الأول مُركَّبًا مصدريًّا، والطرف الثاني مُفردًا؛ فكانت على هذا النحو:

مَصدر + جار ومجرور + و + مفرد

وتمثَّلت في فرقَين أيضًا، هما:

1- اللطف للنساء والعَرَابَة.

2- المحبة في النساء والشبَق.

- **الصـــورة الرابعـــة:** تميَّـزت هـذه الصـور عـن غيرِهـا بمجـيء معطـوفَين اثنـين فـي الطـرف الثـاني مـن التركيـب العطفـي (المعطـوف)[54]، ومجـيء الطـرف الأول (المعطـوف عليـه) مركَّبًـا مصـدريًّا، وهـو مـا يمكـن تسـميته بالتركيـب العطفـي المتـداخل، علـى غِـرار مـا سـبق من (التركيب الإضافي المتداخل)؛ فكانت على النحو الآتي:

مصدر + جار ومجرور + و + مفرد (معطوف عليه) + مفرد (معطوف)

وظهر ذلك في فرقٍ واحدٍ هو: المحبة في النساء والشبَق والنَّعْظ.

- **الصـــورة الخامســـة:** جـاء الطـرف الأول مُفـردًا، والطـرف الثـاني مُركَّبًـا مصـدريًّا؛ أي عكـس الصورة الثالثة؛ فكانت على النحو الآتي:

مَصدر + و + مفرد + جار ومجرور

وظهر ذلك في فرقٍ واحدٍ هو: العجز والخلف في الوعد.

- وثمـة فـرقٌ واحـد مختلـف لا ينـدَرج ضـمن المركبـات السـابقة: الإضـافية والمصـدرية؛ إذ تميَّـز عنهـا بمجـيء طَرَفَـي التركيـب العطفـيّ (المعطـوف عليـه والمعطـوف) اسـمَ فاعـلٍ مجموعًـا، جـاء أولهما متبوعًا بمتعلقه النحوي (الجار والمجرور)؛ فكانت صورتُه على النحو الآتي:

اسم فاعل مجموع + جار ومجرور + و + اسم فاعل مجموع

وتمثَّل ذلك في فرقٍ واحِدٍ هو: المؤَدُّون للأخبار والناقلون.

54) سبق أن وردَ معطوفان أيضًا في النموذجالرابع من الصورة الأولى في المركبات الإضافية (سلامة الصدر والبلاهة والغفلة).

الخُلاصة:

يخلُـصُ البحـث ممَّـا سـبق إلـى أن الفـروق اللغويـة التـي وردَت عنـد الحكـيم الترمـذي فـي صورة أسماء مركَّبة تمثَّلت في سبعَةٍ وثلاثين فرقًا (37)، وجاءت على نَمَطَين:

- الأول المركبـات الإضـافية وعـددُها ثلاثـةٌ وعشـرون فَرقًـا (23) انتظَمَتْهـا صُـورتان باعتِبـار محتـوَى التركيـب العطفـي لهـذه الفـروق بقِسـميه (المعطـوف عليـه والمعطـوف)؛ توزَّعـت الصـورةُ الأولـى علـى خمسـة نمـاذج ضـمَّت تسـعة فـروقٍ (9)، وتوزَّعـت الثانيـة علـى سـتة نماذج ضمَّت أربعةَ عشرَ فرقًا (14).
- الثـاني المركَّبـات المصـدريَّة وبلـغ عـددُها ثلاثـة عشـرَ فَرقًـا (13) انتظَمَتهـا خمـسُ صُـورٍ؛ ضـمَّت الصـورةُ الأولـى سـبعةَ نمـاذج، وظهـرَت كـلٌّ مـن الصـورتين الثانيـة والثالثـة فـي نمـوذجَين، فـي حين جاءت كلٌّ من الصورتين الرابعة والخامسة في نموذجٍ واحد.

وجـاء فـرقٌ واحـد فـي صـورةٍ مركَّبـة ولـم يُـدْرَجْ ضـمن المركَّبـات السـابقة؛ إذ جـاء مكوَّنًـا مـن اسـم فاعـلٍ مجموعًـا متبوعًـا بمتعلَّقِـه النحـوي (الجـار والمجـرور) فـي الطـرف الأول (المعطوف عليه)، ومجرَّدًا منه في الطرف الثاني (المعطوف).

المبحث الثاني

الأصول الفكرية الحاكمة لمنع الترادف عند الحكيم الترمذي

بعدَ مُدارَسة محتوى الكتابين محلِّ الدراسة بُغيَةَ الكشفِ عن الأصول الفكرية الحاكمة للحكيم الترمذي في بيان الفروق اللغوية التـــي تناولَها ومَنع التـــرادُف بينها، خَلَصَ البحثُ إلى عدَّة ملاحظات؛ تعلَّقَ بعضُها بالجانب الصوتي، وبعضها بالجانب الصرفي، وبعضها الآخر بالجانب الدلالي؛ وفي ضوء هذه الملاحظات أمكنَ استخلاص المعايير الحاكمة لدراسة الفروق اللغوية عند الحكيم الترمذي.

وقبل التعرُّض لهذه الملاحظات تجدُر الإشـــارة إلى أمرَين عامَّين وجدَ البحثُ أنهما مثَّلا مُنطَلَقًا دافِعًا للحكيم الترمذي في اختيار الفروق التـــي تضـمنها الكتابان محل الدراسـة، وكذلك في شـرح تلك الفروق؛ وهما: الوِجهَةِ الصـــوفيَّةِ الغالبة على الفروقِ الواردة في الكتابَين، وإرجاع الاختلاف بين تلك الفروق إلى المعنى الباطن.

أ- الوِجهَةِ الصوفيَّةِ الغالبة على الفروقِ الواردة في الكتابَين:

افتَـتَحَ الحكـيمُ الترمـذيُّ كتـاب (الفـروق ومنـع التـرادف) بمقدِّمـةٍ مـوجزةٍ اسـتغرقت صـحيفتين أبـان فيهـا عـن الوجهـة الصـوفية الغالبـة علـى الفـروق التـي اشـتمل عليهـا الكتـابُ اختيـارًا وشرحًا؛ قال فيها بعد حمد الله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ:

"أما بعد، فإنك ســألتَ عن ســببِ مُشــتَبه الأفعال وبيان فروقها، واعلم أن الســبب في ذلك أن الأفعال تخرج إلى الأركان من صـدرٍ قد انقسَـمَ قسـمين على قلب سـليمٍ ونفسٍ سَـقيمَة، فأيُّهما غَلَبَ على صـــاحبه كان الفعلُ لَه، فَتَبايَنَا في الباطِنِ واشـــتَبَهَا في الظاهر؛ وذلك مثل: المُدارَاة والمُدَاهَنَة، والمُحَاجَّة والمُجادَلَة..."، وأخذَ في تعدادِ هذه الفروق التي أنهاها بالفرق بين المُقايَسة والمشاكَلَة.

وهكذا تتضِح الوِجهَةُ الصوفية التـــي انطَلَق منها الحكيمُ لبيان هذه الفروق، وعلى هذين القِسمَين المذكورَين في المقدمة أدارَ الحكيمُ شـــرحَه لهذه الفروق ما بين صِـــفاتٍ محمودَة وهي ما تعلَّقَ بالقَلبِ الســـليم، وأُخرَى مذمومة وهي ما تعلَّق بالنَّفسِ الســـقيمة؛ فالمُدَاراةُ محمُودَة والمُداهَنَة مذمُومَة، وعلى حدِّ

قولِه: "فالمُدَاراةُ فِعلٌ قد نَدَبَ اللهُ العبادَ إليه ورضيَ بِهَا، والمُدَاهَنَة مَنهِـــيٌّ عنها مذمُومة في الشريعة، قال تعالى: ﴿**وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ**﴾[55]، فكلاهما مستعملٌ فيه الرِّفق والتلطُّف، وإنما افترقَا للباطن"[56].

وعلى هذا النَّحو سار الحكيمُ الترمذي في إيضاح أغلَبِ هذه الفروق؛ فالمُحاجَّة محمودةٌ، والمُجادَلَةُ مذمومَة، والمُناظَرَةُ محمودَةٌ والمُغالَبَةُ مذمُومَة، والانتصار محمودٌ والانتقام مذمُوم ... إلخ.

وإذا انتقَلنا إلى الكتاب الثاني محلِّ الدراسة (الفرق بين الصدر والقلب والفؤاد واللُّب) وجدنا ما يؤكِّد هذا التوجُّه الصوفي؛ جاءت مقدمة الكتاب أكثـــر إيجازًا من السابقة؛ ولم تزد عن قوله: " فإن بعض أهل العلم ســألني عن بيان الفرق بين الصــدر والقلب والفؤاد واللُّب وما وراءها من الشِّــغاف ومواضــع العلوم، وأحبُّ أن أشــرح له بتوفيقِ الله تعالى إذ هو ميسِّــر كل عســيرٍ، وبه أســتعين"، ثم أَدَارَ الكتابَ على بيان الفرق بين هذه المفردات الأربع المتعلِّقة بالإنســان من وجهتِه الصــوفية الدينية؛ فالصــدر عنده مرتبط بنور الإســـــلام، والقلب مرتبط بنور الإيمان، والفؤاد مرتبط بنور المعرفة، واللُّب مرتبط بنور التوحيد، ويرى أن هذه المفردَات الأربع "أشكالٌ متعاوناتٌ، قريبة المعاني بعضها من بعض، موافقات غيـــر مخالفات؛ لأنها أنوار الدين، والدين واحد، وإن كان مراتبُ أهله تختلف وتتنوع"[57].

ويتَّصـــل بذلك أن الفرقَ أحيانًا يكون واضـــحًا بين كُلٍّ من طَرَفَيه (المعطوف والمعطوف عليه) ولا يحتاج إلى إدراجه ضمن الفروق التـي يَمنعُ الحكيمُ ترادفها، اللهمَّ إلا تبعًا للمعيار الأخلاقي الصوفي الذي سار عليه؛ وتمثَّل ذلك في الفروق الآتية:

1- الهرب من الذُّلِّ وطَلب العِزِّ.
2- الحب في الله والحب في ذات النفس.
3- التعظيم للدنيا من أجل الله، وتعظيمها من أجل النفس.
4- صحبة المتقين تخلُّقًا وتأدُّبًا وصحبتهم ترائيًا واندِساسًا وختلًا لدنياه بدينه.
5- الغضب للنفس والغضب لحق الله.
6- خشية الله ﷻ وخشية الخلق.
7- الذَّب عن العِرض وإشاعة الفاحشة.

---

55) سورة القلم: 9.
56) الفروق: 54.
57) الفرق بين الصدر والقلب والفؤاد واللب: 22.

ب- إرجاع الاختلاف بين الفروق إلى المعنى الباطن:

ذَكَرَ الحكيمُ الترمذي أنَّ التشابهَ بين تلك الفروق ظاهرِي، وإنما مرجعُ الاختلاف يكون في المعنى الباطِنيّ، وقد كشَــفَ في ثنايا شــرحه لهذه الفروق أن العلماءَ – ولاســيَّما أصــحاب الحكمة منهم – هم وحدهم من يسـتطيعون الوقوف على هذه الاختلافات وليس العامة من الناس أو من العلماء؛ ففي سـياق حديثه عن أن القلب قد يُطلق عليه الفؤاد، وأن النفس قد تسـمَّى روحًا، يقول: "فقيل: إذا نام العبدُ خرجَت نفسُه، وقيل: خرجت روحه، وكلاهما يؤديان عن معنــى واحد، إلا أن لهذا عملًا ولذلك عمل، والتمييــز بين هذه الأشــياء عند خاصّ العلماء، أعنـــــي الحُكَماء، لا علماء الظاهر، وإنما اختلطَ هذا عند عوام العلماء؛ فنُسِـــبَ عملُ الروحِ إلى النفس، وعمل النفس إلى الروح، وعملُ القلبِ إلى الفؤاد، وعمل الفؤاد إلى القلب؛ لأنهم لم يطَّلِعوا مطالع الحُكماء، ولا عرَفوا بِنيةَ النفس وطبائعَها وخِلقتَها، وما رُكِّبَ فيها من الأشياء إلا مُجمَلًا، والحُكماء من العلماء نالوا من هذا العلم ما مَيَّــزوا بين هذه الأشياء، فنسبوا كل شيء إلى عمله، وأعطوا كل شيء حظَّه"[58].

وفيما يلي بيان بالملاحظات الصوتية والصرفية، تعقبها الملاحظات الدلالية.

أولًا: الملاحظات الصوتية والصرفية:

تطرَّق الحكيمُ الترمذي إلى بعض القضايا الصوتية والصرفية في أثناء حديثه عن الفروق اللغوية؛ فأرجع كثيرًا من المفردات إلى أصلها الاشتقاقي لإيضاح المعنى، وذكَرَ أن ثمة صلة بين حروف الهجاء ودلالتها، كما تحدث عن القلب المكاني، والإبدال الصوتي، وتفصيل ذلك فيما يأتي.

1 إرجاع المفردات إلى أصلها الاشتقاقي لبيان الفروق ببنها؛ وتمثَّل ذلك فيما يأتي:

- في الفرق بين الرجاء والتمنـــي يقول عن (الرجاء): "وأصله من الترجّي[59]، واشتقاقه من (رَجَا البئــر) وهو نواحيه، وقال تعالى: ﴿**وَالْمَلَكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا**﴾[60].
- في الفرق بين التوقُّع والطمع يقول: "ويُقال في اللغة: أَمنَــى يُمنِــي، أي: قَذَفَ، ومِنــى: مشتَقٌّ من رَمي الجِمار بها"[61].

58) الفروق: 108-109.

59) في الأصل (التنجي).

60) سورة الحاقة:17، الفروق:103.

61) المصدر السابق: 142.

- في الفرق بين التجَمُّل والتـــزَيُّن يقول: "فالجَمال مأخوذٌ من الجُملَة، فإذا حسُنَ الشيءُ في نَفسِه، كل شيءٍ على حِدَتِه على اتفاق ووساق وتقارب يقال له: حسن، ويقال له: جميل؛ لَزمَه اسمُ الحُسنِ لكل شـــيءٍ على حِدَته، ولَزِمَهُ اســمُ الجَمال لجُملَةِ الحُســن، فإذا تقاربت الأشــياءُ في خَلقِه وتوافَقَت واستَوثَقَت يُقال له: جميل؛ لاجْتِمالِ الحُسنِ فيه جُملَةً"[62].
- فـي الفـرق بـين المـذَكِّر والقَـاصّ يقـول: "والاقتِصـاص هـو تتبُّـع الشـيء، ومنـه قَـصُّ الأظفـار، وقَصّ الشارب، فهو تتبُّع الأظفار والشارب حتى يُزيله"[63].
- في الفرق بين العَون والمساعدة يقول: "والعَونُ مُشتَقٌّ من العَين"[64].
- في الفرق بين التأنّي والتسويف يقول: "و(سَوفَ) كلمة مأخوذة من سافِه البِناء، والساف: كل قطعة من البناء، فهو سـافه، وقوله: سـوفَ، تأخير منه ... فالتسـويف لمن طال أمَلُه، وبقصـر الأمل تتعطَّل النفس عن التسويف"[65].
- فـي الفـرق بـين التُّهمَـة وسُـوء الظـنّ يقـول: "فالاتِّهـام مُشـتَقٌّ مـن الـتّهم، والـتهم انحِطـاط القَـدر ... ومنه قيل: نجد وتهامة، فَنَجد لارتِفاعِه ورُبُوّه، وتهامة لتَطَامُنِه"[66].
- في الفرق بين الزيارة والتطفيل يقول: "فالزيارة لِعَبدٍ صـافَى أخًا له في ذات الله فَوَدَّهُ وأحَبَّه، وصـار له خِدْنًا ومتنفَّسًـا يقويه ويتقوّى به، لأنه يميل إليه معتمدًا عليه ... ومنه اشـتُقَّ (الإزار)، إذا ائتَزَرَ بِه في وسطِه قوَّاهُ وأعانَهُ في سَعيِه وتقلُّبِه، و(الزيارة) الميل إليه ليقويه ويقوى به"[67].
- يقول في الفرق بين الحُزن والأسـف: "الحُزن هو حريق يغشـى القلب، فيصـيرُ (أي العَبد) طاهِرَ القلب مِمّا يلي الصدر، له حُزونَةٌ كحُزُونَةِ الأرضِ، فإنّ الأرضَ إذا كانت خَشِنَة مُضَرَّسَةً قيل: أرض حزونَة، فإذا كانت مستَوِيَةً لِيّنَةً، قيل: سَهلَة"[68].

2 ذهب أحيانًا إلى تأويل حروف المباني التـــــي تتكون منها المفردات تأويلًا دلالِيًّا؛ وهو ما يمكن تسميته التفسير الصوفي للأصوات؛ يقول: "ومعنـى العَين من (عَرَفَ) كأنه علِمَ وعرَف من عِزَّة الله وعَظَمَتِهِ وعُلُوّه ... ومعنـــــى الراء من (عَرَفَ) رأَى رُبُوبِيَّة الله تعالى، ورأفتَه، ورحمَتَه، ورِزقَه...

62) المصدر السابق: 143.
63) المصدر السابق: 160.
64) المصدر السابق: 170.
65) المصدر السابق: 180.
66) المصدر السابق: 229.
67) المصدر السابق: 235.
68) المصدر السابق: 110.

ومعنى الفاء فَقِهَ في الدين لله تعالى، وفَهِم مُرادَه، وفارَقَ كُلَّ فانٍ، وفَرَّ من كُلِّ فِتنةٍ إلى الفتَّاح العليم ... ووَجهٌ آخر: معنى العَين: عَرى قلبُه عن النظر إلى غيرِ رَبِّه ... ومعنى الراء: رأى قلبُهُ كلَّ شيءٍ كما خلقَهُ الله تعالى، ومعنى الفاء: فرأى الفاني كأنه قد فَنِيَ، حتى انفَرَدَ للفَردِ الذي هو مولاه، ووجهٌ آخر: معنى العين أنه عزَّت نفسُه بالإيمان، والراء: راحت روحه بارتياح ذِكر الرحمن، والفاء: فتح الله تعالى قلبه بالفِقه في علوم القرآن، ووجه آخر: عشِقَت نفسُه، ورَقَّ قلبُهُ، وفَاقَت رُوحُه"[69].

ويقول: "فهذا تفسير اسم (اللُّبّ)؛ فإنه لامٌ وباءٌ، فابتدَأ بلامٍ مثل لام (اللُّطف)، والباء مُشدَّدَة واحِدَةٌ في الكتابة، لكنها من الحروف المضاعفة، فهي في الحقيقة اثنان، باء (البِرِّ) في البداية، وباء البقاء بالبَركَة عليه"[70]،

ويَرى البحثُ أنَّ الحكيم الترمذي من أوائل الصوفيَّة الذين لفتوا النظرَ إلى توجيهِ الحروف توجيهًا دلاليًّا مما شاعَ فيما بعد عند أهل التصوُّف؛ على نحو ما نجد عند عبد القادر الجيلاني (ت:561هـ) إذ يقول عن لفظ (التصوُّف) _على سبيل المثال_: "فلفظ التصوف أربعة أحرف؛ التاء والصاد والواو والفاء، فالتاء من التوبة، وهي على وجهين: توبة الظاهر وتوبة الباطن ... والصاد من الصفاء، وهو على نوعين: صفاء القلب وصفاء السر ... والوَاو من الولاية ... والفاء وهو الفَنَاء في الله، يعني عن غير الله تعالى"[71]، ثمَّ عند محيي الدين بن عربي (ت: 638هـ) الذي كَتَبَ رسالةً بعنوان: سر الحروف، صَرَّحَ في مقدمتها بأن الحكيم الترمذي يسميه: علم الأولياء[72]، وذَكَرَ أن الحروف سِرٌّ من أسرار الله تعالى، والعلم بها من أشرف العلوم المخزونة عند الله تعالى، وهو العلم المكنون المخصوص به أهل القلوب الطاهرة من الأنبياء والأولياء، ولابن عربي رسالة أخرى بعنوان: توجُّهات الحروف[73].

---

69) بيان الفرق بين الصدر والقلب والفؤاد واللب: 68.

70) المصدر السابق: 56.

71) عبد القادر الجيلاني، سر الأسرار ومظهر الأنوار فيما يحتاج إليه الأبرار، تحقيق: خالد محمد عدنان ومحمد غسان نصوح، دار السنابل، دمشق، الطبعة الثالثة 1994م: 77–79، وينظر: أسرار الحروف وحساب الجُمَّل، طارق بن سعيد القحطاني، رسالة ماجستير، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 2009م.

72) نُشرت ضمن رسالتين بعنوان (رسالتان في سر الحروف ومعانيها: الأولى: سر الحروف، لمحيي الدين بن عربي، والثانية: تفهيم معاني الحروف، المسماة مواد الكلِم في ألسنة جميع الأمم) لأبي الحسن الحرّالي (ت:637هـ)، تحقيق عبد الحميد صالح حمدان، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، الطبعة الثانية 2005م.

73) حققها عبد الحميد الشيمي، مكتبة القاهرة، الطبعة العاشرة 2004م.

3 ويتصل بما سبق تعليل الحكيم تسميةَ بعض المفردات بأسمائها على النهج الصوفي؛ ومن ذلك قوله: "قال بعضُ العَارِفين: إنما سُمِّي الفُؤادُ فؤادًا لأن فيه ألفَ وَادٍ"[74]، وقوله: "إنما يُسمَّى القَلبُ قلبًا لسُرعة تقلُّبِه"[75]، وقوله: "وقد قيل إن العقلَ يعقِلُ النفس عن متابعة الهوى، كما يمنع العِقالُ الدابَّةَ من مَرتَعِها ومَرعاها"[76].

4 تعرَّضَ الحكيمُ في شرح بعض الفروق لظاهرة القَلبِ المكاني التي عبّرَ عنها بـ (قَلب اللغة) وذكر أمثلةَ عليها؛ وذلك على النحو الآتي:

- يقول في الفرق بين سلامة الصدر والبلاهة والغَفْلَة: "والغَفلَة مشتقَّة من (الغلفَة)؛ ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿**وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْف**﴾ [77]، وقوله تعالى: ﴿**إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ**﴾[78]، فالغَفلَة هي الغُلاف"[79].
- ويقول في الفرق بين الرِقَّة والجَزَع: "والجَزَع هو أن النفس قد اعتادت اللين واليُسرَ والراحة ووجدان ما يُشتَهَى؛ فهذه مَحَابُّها، فإذا أُبدِلَت باللين خُشونَةً وباليُسرِ عُسرًا وبالراحةِ شِدَّةً وبالوِجدانِ فَقدًا، قيل له: اصبِر؛ أي اثبت مكانك من مركز الإسلام، فإن لكلِّ مسلمٍ مركزًا بين يدي الله ﷻ كمركزِ الجنديّ بين يدي الأمير ... فإذا عجَزَ عن الثبات وهَرَبَ، فقيل: جَزَعَ، على قَلبِ اللغة؛ فالجَزَع هو عَجز النفس والقلب عن الثبات، والعَجز هو عجز البَدَن عن الأفعال"[80].
- ويقول في الفرق بين الشُّكر والصَّلَف: "فالشُّكر رؤية العبد بقلبه النِّعَم من الله ﷻ، يُقالُ في اللغة: كَشَرَ، وشَكَر، فالكَشرُ هو الانكِشاف عن أسنانه، والشُّكر انكِشاف غِطاء القلب، فإذا انكشف الغِطاءُ أبصَرَ بقَلبِه"[81].
- ويقول في الفرق بين الحِرص والارتِفاق: "والحِرص مُشتَقٌّ من الصَّرح، والارتِفاق من الرِّفق"[82].

---

74) بيان الفرق بين الصدر والقلب والفؤاد واللب: 52.

75) المصدر السابق: 50.

76) المصدر السايق: 59.

77) سورة البقرة:88.

78) سورة الكهف:57.

79) الفروق: 98.

80) المصدر السابق: 109.

81) المصدر السابق: 117.

82) المصدر السابق: 131.

- ويقول في الفرق بين الفَقر والبُؤس: "فالفَقرُ هو الخَلاءُ من الشيءِ، ومنه قيل: أرضٌ قَفرٌ، والفَقر والقَفر بمعنى واحد، إلا أن هذا يُستَعمل في نَوعٍ، وذلك في نَوعٍ"[83].
- ويقول في الفرق بين المحبَّة في النساء وبين الشَّبَق والنَّعْظ: "والدَّفقُ والقَفدُ بمعنـــى واحد، إلا أن هذا يُستَعمَلُ في نوعٍ وذلك في نَوعٍ، والقَفدُ أن يقفِدَهُ في قَفاه؛ أي: يَدفَعُه"[84].
- ويقول في الفرق بين المقايَسة والمشاكلة: "وفي اللغة قَاسَ وسَاقَ بمعنـى واحد، إلا أن هذا استُعمل في نوعٍ وذلك في نوعٍ، ومثل هذا كثيـر كقولِهم: مَدَح وحمِدَ، وشكر وكشر، وعلم وعمل، فالعِلمُ في الصدر علامةُ ما في القلب، والعمل بالجوارح علامة ما في الصـــدر، فكلاهما علامة، وكذلك قوله: قاسَ وساقَ؛ فالسائِقُ يسوقُ هذا الذي قد شَذَّ عن نُظرائه إلى معدنِه، والقايس يقيسُ هذا الفَرعَ الذي تفرَّع من أصله، فَبدا ها هُنا شاذًّا إلى أصله ومعدنِه ... فالقِياس هو السياق؛ أن يسُوقَ كل فرعٍ منها إلى أصلِه الذي أصَّلَهُ الله ﷻ"[85].

5 أشار الحكيم في أثناء ضرحِه للفروق إلى الإبدال الصوتي بين صوتَي السين والصاد؛ فَذَكر أنهما يأتيان في اللغة بمعنى واحد؛ وذلك في الموضعَين الآتيَين:

- قَرَنَ الحكيمُ بين كلمتـي (الوَسيلَة) و(الوصلة) بقوله: "وقد قالَ في تنزِيله: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ**﴾[86]، وهو الوصلَة، والسين والصاد في اللغة بمعنًى واحد مُستعملان كلاهما"[87].
- قَرَن بينَ (الاقتِباس) والاقتِناص) بقولِه: "والاقتِباسُ الاقتِناصُ، والسين والصاد بمعنًـــى واحد؛ وهو أن يُقتَصَّ الأثرُ حتى ينتهي إلى المعدن المعروف"[88].

6 اختارَ الحكيم الترمذي فَرقَينِ من بين الفروقِ تضـــمَّنَا أربَعَ مُفردَاتٍ اتَّحَدَ الجَذرُ اللغوي لكُلِّ اثنتَينِ منها؛ وهي: (العُبُودَة والعِبَادَة)، و(التَّوكُّل والاتِّكَال)؛ فالجَذر اللغوي لأولهما (ع ب د)، ولِثَانِيهما (و ك ل).

---

83) المصدر السابق: 135.

84) المصدر السابق: 187.

85) المصدر السابق: 259.

86) سورة المائدة: 35.

87) الفروق: 71.

88) المصدر السابق: 262.

7 ظَهَر التقارب اللفظي في بعض المفردَات التـــي فَرَّق الحكيم بينها؛ إذ اتفقت الكلمتان في الحروف مَا عدَا حرفًا واحِدًا؛ وكان ذلك في سِتّة فروق هي: البَشَاشَة والهَشَاشَة، التحَسُّس والتَّجَسُّس، التقدير والتقتير، الرُّعاة والرُّوَاة، الرِّقَّة والحُرقَة، الهَمّ والغَمّ.

ثانيًا: الملاحظات الدلالية:

كان اهتِمامُ الحكيم الترمذيّ في بيان الفروق اللغوية التـــــي تناولها مُنصَـــبًّا على الدَّوافِع الأخلاقية الصوفية، فكان يوجِّهُ المعنـــى وِجهَةً صُوفِيَّةً واضِحَةً مُنطَلِقًا من المعنـــى الباطِنيّ الذي يراه سببًا لوجود الفَرق حين تتشابَهُ الكلمتان في المعنـــى الظاهر، ونَبَّهَ الحكيمُ إلى أن التمييـــز بين هذه الفروق لا يُدرِكه عامَّةُ الناس، بل يُدرِكُهُ الحُكَماء أو علماء الباطن فقط؛ ويرجِّح الحكيمُ دائمًا أنَّ ما تعلَّقَ بالقلب من الصفاتِ يكون محمودًا، وما تعلَّق بالنفس يكون مذمومًا، وقد كَشَفَ الحكيم عن ذلك في المقدمة الموجزَة لكتاب (الفروق) حين قال: "أما بعد، فإنك ســألت عن ســبب مُشــتَبَهِ الأفعال، وبيان فروقها، واعلم أن السبب في ذلك أن الأفعال تخرج إلى الأركان من صدرٍ قد انقَسَمَ قسمَين على قَلبٍ سلِيمٍ ونَفسٍ سَقيمَة، فأيُّهما غَلَبَ على صاحِبِهِ كانَ الفعلُ لَه، فَتَبايَنَا في البَاطِنِ واشتَبَهَا في الظاهِر".

كما ظهر من خلال البحث تخصيص الحكيم الترمذي دلالة بعض المفردات التي تحملُ معنًى عامًّا، وتغييـــر دلالة بعضها الآخر مما تتضمَّنه من معنًـــى سلبيٍّ إلى آخر إيجابِيّ، وكذلك إرجاع الفروق بين الأفعال إلى الدوافع من ورائها وليس إلى الأفعالِ في ذاتِها، وفضلًا عن ذلك رأى البحثُ أن بعض الفروق كانت واضــحةً في دلالتها بعيدة عن اللَّبس، وعلى الرغم من ذلك أدرجها الحكيم ضـمن الفروق التـــــي عالجَها، وتفصيل ذلك فيما يأتي.

- **أولًا: الثنائيات الضدية:**

اتضح من خلال تتبع تلك الفروق وشرح الحكيم لها أنه ارتكز في اختيار تلك الفروق أولًا، ثم في توجيهها الدلالي ثانيًا على ثنائيات ضِدِّية؛ تمثلت في: (الظاهر والباطن)، و(المحمود والمذموم)، و(القَلب والنفس).

- **الظاهر والباطن:**

يرى الحكيم أنّ بعضَ الفروق تتشابُه في المعنى الظاهر، وتختلف في المعنى الباطن، ويرى أن هذا المعنى الباطن لا يدرِكه إلّا الحُكماءُ من العلماء فقط؛ أو أولو الألباب، أو العُلماء بالله، على حدِّ تعبيره،

وليس عامَّة الناس، يقول الحكيم: "فإنما يغلُظ القلب ويقســـو من بُعدِ الرحمة، ويرطُبُ ويَلينُ من حلول الرحمة فيه، فالفؤاد والقلب لالتزاقهما وشـركتهما في الأمور انتظمهما اسـم واحد، فجاز أن يُسـمَّى القلبُ فؤادًا والفؤادُ قلبًا، فهما شـيءٌ واحدٌ، فباطِنُهُ قَلبٌ وظاهره فؤادٌ ... وكذلك نُسمَّى الروح نفسًا والنفسُ روحًا، لقُربِهما ومجاورتهما في البَدَن، فقيل: إذا نام العبدُ خرجَت نفسُـــه، وقيل: خرجت روحه، وكلاهما يؤديان عن معنـــى واحد، إلا أن لهذا عملًا ولذلك عمل، والتمييـــز بين هذه الأشياء عند خاصّ العلماء، أعنـــي الحُكَماء، لا علماء الظاهر، وإنما اختلطَ هذا عند عوام العلماء؛ فنُسِـــبَ عملُ الروحِ إلى النفس، وعمل النفس إلى الروح، وعملُ القلبِ إلى الفؤاد، وعمل الفؤاد إلى القلب؛ لأنهم لم يطلعوا مطالع الحُكماء، ولا عرَفوا بِنيةَ النفس وطبائعَها وخِلقتَها، وما رُكِّبَ فيها من الأشياء إلا مُجمَلًا، والحُكماء من العلماء نالوا من هذا العلم ما مَيَّزوا بين هذه الأشياء، فنسبوا كل شيء إلى عمله، وأعطوا كل شيء حظَّه"[89].

وقد جعل أبو حامد الغزالي (ت:505هـ) علم الباطن من العلوم الدينية؛ فحين قسَّم العلوم إلى عقلية كالطب والحساب والهندسة، ودينية كالكلام والفقه وأصوله وعلم الحديث وعلم التفسير ختمها بقوله: "وعلم الباطن؛ أعنـــي علم القلب وتطهيـــره عن الأخلاق الذميمة"[90]، ويعد أن ذكر عبد القادر الجيلاني (ت: 561هـــ) أن علم الظاهر اثنا عشر فنًّا، وأن علم الباطن أيضًـا اثنا عشر فَنًّا؛ قال: "فقُسِّمَ بين العوام والخَواصّ وأخَصّ الخَواصّ على قدر الاستعداد"[91].

- **المحمود والمذموم:**

يميل الحكيمُ دائما في حديثه عن تلك الفروق إلى أن الأفعال إذا كان دافعها من القلب فهي محمودَةٌ، وإن كان من النفس فهـــي مذمُومَة؛ كما وَرَدَ في تفرقته بين (البَشَاشَة والهَشاشة) يـــرى أن دافِع البشاشةِ قلبـــيٌّ، ودافِع الهَشاشة نفسيّ؛ ومن ثمَّ تكون البشاشةُ محمودَةً، والهشاشَةُ مذمومَةً تبعًا للمعيار الصوفي الأخلاقي؛ يقول: "فالبَشـــاشـــة: انطِلاق القلب، وذلك أنّ المؤمن ببهاء الإيمان الذي في صـــدرِه قد عَلَتْهُ المهابَة، وأخذت أماكنها من حِليَةِ الوَجه، والجَلالُ من قلبِه على شـــخصِـــهِ ظاهِر، فإذا لقيَ مؤمِنًا بَشَّ بِه ... والهشـاشـة: رفرَفة النفس؛ وذلك أنَّها لما رأت قرينتها ملائمةً لها في أخلاقها وأمورها من اللهو واللعب والبطالة اهتشَّـت إليها، واشـتَهت قُربَها وصُـحبَتَها، وآنسـت بها لوفاقِها، فإذا لقيَ أحدهما الآخر، فإن كان الغالِبُ عليه فعلُ القلب وأخلاق الإيمان كانت تلك منه بَشاشَة، وإن كان الغالب عليه فعل النفس وأخلاق

89) الفروق: 108-109.

90) أبو حامد الغزالي، المستصفى من علم الأصول، تحقيق حمزة بن زهير حافظ، 13/1.

91) عبد لقادر الجيلاني، سر الأسرار: 62.

الكُفر كانت تلك منه هشـــاشـــة؛ وهي خفة النفس ورفرفتها إذا اســـتفزَّها الهَوى، ودارت بها أرحبة الشهوات"[92].

وحين نُطالِعُ ما وَرَدَ في لِسان العرب نجد ابن منظور في أثناءِ شرح معنـــى الكلمتين يفسَّر إحداهما بالأخرى؛ فالبَشاشَة: "طَلاقة الوَجه"[93]، ويقول عن(الهَشَاشة): "وهَشَّشْتُهُ وهَشِشْتُ بِهِ، بالكَسر، وهَشَشْتُ، الأخيـــرة عن أبي العَميثل الأعرابي، هَشَاشَةً: بَشِشْتُ، والاسم الهَشَاش، والهشاشة: الارتياح، والخِفَّة للمعروف، الجوهري: هَشِشتُ بفلان، بالكَسر، أَهَشُّ هَشاشَةً، إذا خَفَفَتَ إليه وارتَحتَ لَهُ وفرِحتَ به، ورجُلٌ هَشٌّ بَشٌّ"[94].

وفي الفرق بين (التحَلِّي والتّـــزَيُّن) يرى الحكيم أنّ: "(التَّحَلِّي): لِعَبدٍ تَحَلَّى بالطاعات وأعمالِ البِـــرِّ، فذلك حِليتُهُ في الدنيا، وبِهاؤهُ في الموقف، ووجهته عند ربّه، فإذا نَظرَ العِبادُ إليه في الدنيا رأوا عليه حِليَةَ الموحِّدين، واقتدَوا به، وتنافسُوا عليه؛ لأن الحِليَةَ تُحَلِّي القلوب والنفوس، ولذلك سُمِّيت حِلية، والتّـزَيُّن: أن يجعل الطاعاتِ وأعمال البِرِّ زِينَةً لِنفسِه كَي يُرَى عليه ذلك، فيزدادُ[95] عند الخلق بتلك الزينة التي أخذها واكتســـبها؛ فالأول عمل بالطاعات على أن يكون له حلية عند الله ... والآخر تزيَّنَ بالطاعة، فإن كان تزيَّن للخَلقِ فهو ســاقِطٌ مُرَاءٍ، وإن كان تزيَّن في الخلق وإنما تزين لله طلب منه إخلاصــه غدًا، فصــعب عليه الأمرُ جِدًّا حتـــــــى يوجد منه إخلاص الزينة، والزينة في الظاهر، والحِلية في الباطن تتأدّى إلى الظاهر"[96].

في حين يفســـر ابن منظور إحدى الكلمتين بالأخرى؛ فيقول: "تحلّى بالحُلِيّ، أي: تَزَيَّنَ"[97]، "وتَزَيَّنَ هُو وازْدَانَ، بمعنًى"[98].

- **القلب والنفس:**

92) الفروق: 166.

93) ابن منظور، لسان العرب، طبعة دار المعارف: (ب ش ش) 288/1.

94) المرجع السابق: (هـ ش ش) 4667/6.

95) هكذا في الأصل ولعلها: فَيَزْدان.

96) الفروق: 185-186.

) لسان العرب: (ح ل ي)/ 985.297

98) المرجع السابق: (ز ي ن) 1902/3.

يرى الحكيم أن النفس تسعى لتدنيس القلب وتَكْدِيره بأَدْرانِها وشهواتها لإبعاده عن الإيمان والطاعات؛ يقول في الفرق بين (النزاهة والجَفَا): "فالنزاهة لأهل الطهارة، وذلك أن النفس متشبِّثَة بالقلب مُحيطةٌ بشهواتِها على القَلب، جارية بحرارتها إلى باطن القلب، مازِجَة بحلاوتها حلاوة الإيمان والطاعات، مُكَدِّرةٌ بخِدَعِها ودُخان شهواتها صَفاوةَ المعرفة، فإذا راضَ العبدُ نفسَه وقَهَرَها وأَدَّبَها، استقامَ القلبُ مُنتَصِبًا لله بالعبودة، متشَمِّرًا سائرًا إلى مَحَلِّ القُربَة، منقَطِعًا عن النفس وأسبابِها إلى الله، وهو التَّبَتُّل الذي نَدَبَ اللهُ رسوله عليه السلام إليه، فقال: ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾[99]؛ فالتبتُّل الانقِطاع إليه عن كل شيء سِواه، فهذا قلب قد طُهِّرَ من أدناس النفس ونُزِّهَ، فنُزِّهَ إيمانُه وطُهِّر، وصَفَت معرفتُه واتَّصلَت وُصلَتُه"[100]، ويقول: "والسَّكينَة لا تَحِلُّ إلا بقلبٍ قد صارَ حُرًّا من رِقِّ النفس"[101]، ويقول في الفرق بين الحِدَّة والخَرَق: "فالحِدَّة: لِعبدٍ عِزَّة المعرفة مشتملة على قلبه، وسُلطانُ العَدل متردِّدٌ في صَدرِه، فيحتَدُّ في الأمور، فإذا رأى تفريطًا أو تقصيرًا احتَدَّ قَلبُه وامتنعَ من اللِّين ... والخَرَقُ: لِرَجُلٍ نفسُهُ مستَولِيَةٌ على قلبه، فهو سَيِّءُ الخُلُق، ضَيِّقُ الصدر، وفي الظاهر حافِظٌ لأمر الله"[102].

- **ثانيًا: تخصيص الدلالة:**

أحيانًا تكون للكلمة دلالة عامَّة فيخَصِّصها الحكيمُ الترمذي تبعًا لوجهته الصوفية، وهو ما يسمَّيه علماؤُنا (تخصيص الدلالة)[103]؛ على نحو ما سبق ذكره في التفرقة بين (البَشاشة والهشاشة) وأن الأولى محمودة والثانية مذمومة، وتفرقته بين (التحَلِّي والتزَيُّن)، ويبدو ذلك بصورةٍ أوضح في تفرقته بين (الأمل والنِّيَّة)؛ فكلمة (الأمل) تعني مُطلَقَ الرجاء في دلالتها العامة، و(النِّيَّة) تعني القَصد والاعتِقاد؛ يقول ابن منظور: "الأَمَل والأَمْل والإِمْل: الرَّجاء؛ الأَخيرة عن ابن جني، والجمع آمال"[104]، ويقول في (النيَّة): "نَوى الشيءَ نِيَّةً ونِيَةً، بالتخفيف، عن اللحياني وحده، وهو نادر، إلاَّ أَن يكون على الحذف، وانْتَواه كلاهما: قصده واعتقده ... والنَّوي: النِّيَّة وهي النِّيَة مخففة، ومعناها القصد لبلد غير البلد الذي أَنت فيه مقيم، والنِّيَّةُ والنَّوي: الوجه الذي تريده وتَنْويه"[105]، لكن الحكيم يُخَصِّصُ دلالة (الأمل) بأنها غرورٌ

---

99) سورة المزمل: 8.

100) الفروق: 71.

101) المصدر السابق: 121.

102) المصدر السابق: 202-203.

103) يُنظر على سبيل المثال: رمضان عبد التواب، التطور اللغوي، مظاهره وعلله وقوانينه، مطبعة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثالثة 1997م: 194.

104) لسان العرب، (أ م ل): 132/1.

) المرجع السابق (ن و ي): 105.4589-4588/6

وحديث النفس التـــي تحرّكها الشهوات، ويجعل (النية) سرورًا وحديث القلب الذي يُرضِي اللهَ تبعًا للتَّوَجُّهِ الصــوفيّ الواضِــح في تفرقته بين الأمل والنِّيَّة؛ إذ يقول: "الأمل أن يُحدِّث نفسَــه بالأجل في مدَّة طويلة جُزَافًا وهو لا يعلم ذلك، وقد علِمَ أنه غُيِّبَ عنه ذلك، وإنما هي أنفاسٌ معدودةٌ لا يدري متـــــى تنفَد، فإذا نفدت لم تزد نفَسًـــا واحدًا ... فحديث النفس بمدة الأجل هو أمل، وحديث القلب بمدة الأجل هو نِيَّة؛ لأن حديث النفس بذلك لقضـاء النُّهمة والشـهوة، وحديث القلب بذلك لقضـاء الحقوق والقيام بها، وحديث النفس بذلك ليُرضِــيَ النفس بالشــهوات، وحديث القلب ليُرضــيَ الربَّ بالطاعات، فصــارت هذه نِيَّةً، وذلك أملًا، فصارت النِّيَّةُ سُرورًا، والأملُ غُرورًا، ولأن النِّيَّةَ صارت في ديوان الله فأثيبَ عليها، والأمل صار في ديوان الشيطان فأورَثَهُ الحسرةَ والندامة"[106].

كذلك صَرَف معنـــى (التمنِّـــي) إلى وساوس النفس حين فرَّق بين (الرجاء والتمنـــي) بقولِه: "والأمانِيّ لِعبدٍ تزاحمت وساوسُ نفسه على قلبه، وأظلمَ صدرُه من دُخانها، فهو يستعمل قلبه في شهواتها، ثم تمنّيه حُسـنَ العاقبة والنجاة، فسـمَّاهُ أهلُ الغَفلَةِ والجَهل رجاء، وليس ذلك برجاء، إنما هو وسـاوس النفس ترمي بها إلى القلب جُزافًا من غيـر حقيقةٍ ولا معرفة"[107]، في حين جاء في لسان العرب أن (التمنّـي): "حديث النفس بما يكون وبما لا يكون، قال (أبو العباس أحمد بن يحيـى): والتمنـي السؤال للربِّ في الحوائج، وفي الحديث: إذا تمنـى أحدُكم فليستكثِر، فإنما يسأل ربَّه، وفي رواية: فليُكثِـر، قال ابن الأثيـر: التمنـي تشهِّي حصول الأمر المرغوب فيه وحديث النفس بما يكون وما لا يكون"[108].

- **ثالثًا: تغيير الدلالة:**

قد تكون دلالة المفردة في المعجم سلبيَّةً، وتبعًا للوجهةِ الصوفية التـــي تُراعي المعنـــى الباطن تتحول إلى دلالةٍ إيجابيَّةً؛ فكلمة (التسلُّط) في دلالتها المعجمية تعنـي القَهر والغلَبَة؛ يقول ابن منظور: "السَّلاطةُ: القَهْرُ، وقد سَلَّطَه اللهُ فتَسَلَّطَ عليهم والاسم سُلْطة، بالضم، والسَّلْطُ والسَّلِيطُ: الطويلُ اللسانِ، والأُنثى سَلِيطةٌ وسَلَطانة وسِلِطانةٌ، وقد سَلُطَ سَلاطةً وسُلوطةً، ولسان سَلْطٌ وسَلِيطٌ كذلك ورجل سَلِيطٌ أَي فصيح حَدِيدُ اللسان بَيّنُ السَّلاطةِ والسُّلوطةِ يقال: هو أَسْلَطُهم لِساناً، وامرأَة سَليطة أَي صَخّابة"[109]، وحين شرح الحكيمُ الترمذي معنـــــى (التسلُّط) حين فرَّق بينه وبين (الاقتدار) قال: "التسلُّط لِعبدٍ أُعطي سلطان الحقِّ، فهو يتسلَّطُ به على المعاندين، ويكبت الغاوين في ذات الله، والاقتدار لعَبدٍ تسلَّطَ بالجَبَروت ليُذِلَّ مَن أعَزَّ اللهُ،

---

106) الفروق: 106-107..

107) المصدر السابق: 104.

108) لسان العرب: (م ن ي): 4283/6.

109) لسان العرب (س ل ط): 2065/3.

مقتدرًا في ذاته، قد نسي جبَّار السماوات، وعارضَ قُدرَتَهُ بكبرياء نفسه"[110]، فجعل دلالة (التسلُّط) دلالةً إيجابيةً من الوجهة الصوفية الدينية.

110) الفروق: 205.

- **رابعًا: إرجاع الفَروقِ إلى اختلاف الدَّافِع وراء الفِعل:**

أرجَـعَ الحكـيم الترمـذي سـبب اخـتلاف الفـروق بـين الأفعـال إلـى الـدوافع الأخلاقيـة مـن ورائهـا، تبعًا للوجهة الصوفية وليس إلى الأفعال نَفسِها؛ ومن أمثلة ذلك:

- يقول الحكيم في الفرق بين **(الغَضَب والحِميَة)**؛ "فالغضَب: أن يَحمَـــى قلبُه من أجلِ حقُوقِه إذا رأى مُنكَرًا؛ فهذا عبدٌ قد أشرَقَ على قلبِهِ نورُ سُلطانِ الله، فحيـــي قلبه من ذلك النور، فإذا غضِبَ فإنما يغضـبُ من أجل السـلطان الذي على قلبِه ... والحِميَة أن يحمَى قلبُهُ بِحرارَةِ نفسِـه؛ لأن الفِتنةَ في النفس، والفِتنة الحريق"[111].
- في تفرقته بين **(الغَضب للنَّفس والغضب لِحَقّ الله)** يقول: "فالغّضب لحقّ الله: لِرجلٍ رأى مُنكَرًا فَغَارَ لِلَّهِ ﷻ، فَغَضِـبَ لِمَحقِ ذلك المُنكَرِ وإبطَالِه، فهو محمودٌ، والغضـب للنَّفس: رجل رأى مُنكَرًا فحَمِيت نَفسُـــه؛ لأنه رجع إلى نفســـه فقال: بين يَدَي تعمَلُ مثلَ هذا؟ ولقد اســـتُهينَ بقَدري فاجتَرَءوا علَيَّ، فغضِبَ لنفسِهِ بِغضَبٍ مردودٍ عليه، وغير مقبولٍ نَكيره للمنكَر"[112].
- في تفرِقَتِه بين **الصَّـبرِ والتجلُّد** يرى أنَّ: "الصـبر هو الثبات، وكل ما نُصِـبَ فاتُّخِذَ غَرضًـا سُـمِّيَ مَصبُورة، فهذا العبدُ الذي قَبِلَ الإسلامَ شَرطُهُ مع الله أن يثبُتِ له كالعبيد، مُطيعًا فيما يأمُرُه، مُسلِمًا لهُ بَدَنَه فيما يُحكم عليه، فلمَّا أصـــيبَ بشـــيءٍ من المكروهِ في نفسٍ أو مالٍ أو حَولٍ ثَبَت لِله على تسـليمِه، فلم يزَل، فذلك الصـبر. والتجلُّد أن يثبتَ على ذلك، لا لِلَّه، لكن فِرارًا من شـماتَةِ الأعداء، وأن لا يتضَـعضَـعُ لِما نَزَلَ بِه، فيذلَّ عند خلقِه، فليس هاهُنا احتسابٌ احتسب به على الله، فسلم إليه ما كان أودَعه وأعارَه، ولكن كرهت نفسُـه أن يراهُ الناسُ بحالِ الضـعفِ والنقص، فأراهم أنه لا يَعبَأُ بما نَزَل ولا يلتفِتُ إليه، وقد يفعل ذلك للتجلُّد ليُقالُ صابر، فهو مُراءٍ متصَنِّعٌ"[113].
- ويقول في الفرق بين **وجود حلاوة الطاعة بحلاوة التوحيد، ووجودها بحلاوة المحبة:** "فالأول: هو صـفة الصـادقين، والثاني صـفة الصِّـدِّيقين؛ فالصـادقون لمّا أخلصـوا الأعمالَ جهدًا لم يقدروا أن يُصَفُّوها، فنالُوا حلاوة الطاعة، لأن التوحيد شفيعهم إلى الله، والتوحيد يقتضي لهم حلاوة الطاعة من الله حتـى نالوها، والصِّدِّيقون أخلصوا الأعمال وصَفُّوها عفوًا، فنالوا حلاوة الطاعة من قِبَل أن الحب شـفيعهم إلى الله ﷻ، والحب يقتضـي لهم من الله حلاوة الطاعة، فالصـادقون أخلصـوا ولم يُصـفّوا، والصدِّيقون جمعوا الأمرَين جميعًا؛ لأن الإخلاص من المعرفة، والتصفية من المحبة"[114].

---

111) المصدر السابق: 74-75.

112) المصدر السابق: 215.

113) المصدر السابق: 76.

114) المصدر السابق: 197.

فحلاوة الطاعة واحدة، وإنما مرجع الفرق عند الحكيم ســـببُ هذه الحلاوةِ؛ فإمَّا أن يكون حلاوة التوحيد، وإما أن يكون حلاوة المحبة تبعًا للمعنَى الباطنيّ على نحو ما قال.

خاتمة

في ضوء ما سيق يمكن استخلاص أهم النتائج التي انتهى إليها البحث فيما يأتي:

1. يُعَدُّ الحكيمُ الترمذي أَوَّلَ العلماء من أهل التصوُّف الذي تعرَّض لدراسة ظاهرة الفروق اللغوية في كتابَيه اللَّذين اتخذّهما مادَّةً له وهما: الفروق ومنع الترادف، وبيان الفرق بين الصدر والقلب والفؤاد واللُّب.
2. غَلَبَ التوجُّه الصوفي على الفروق اللغوية التي تناولها الحكيم في الكتابَين؛ واتضح ذلك من جهة اختيارات الحكيم للفروق أولًا، ثم شرحه تلك الفروق لبيان سبب منع الترادف بينها ثانيًا.
3. بلغ عددُ الفروق التي اشتمل عليها الكِتابَانِ خمسةً وخمسين ومِئَةَ فرقٍ (155)، وتنوَّعَت ما بين الإفراد والتركيب، فجاءَت أحيانًا في صُورة أسماءٍ مُفرَدَةٍ، وفي أحيانٍ أخرى جاءَت في صُورَةِ مُركَّباتٍ؛ وغَلَبَت صيغة الإفراد على ما جاءَ في صورةِ مُرَكَّباتٍ؛ إذ بَلَغَ عددُ الفروق التي جاء طَرَفَا الفرقِ في كُلٍّ منها في صورة مُفْرَداتٍ تسعة عَشَرَ ومِئَةَ فرقٍ (119)؛ بما مثَّلَ 77 % تقريبًا من مجموع الفروق، وجاءت الفروقُ الباقية وعددها ستّة وثلاثون فرقًا (36) في صورَة مُرَكَّباتٍ، بما مثَّلَ النسبة الباقية، وهي 23%.
4. من الوِجهَةِ الصرفية لُوحِظَ أن الأسماء المُفرَدَةٍ جاءت على الصيغة المَصدريَة غالِبًا، وجاءَ قليلٌ منها في صورة أسماءٍ غير مصادر، وكانت المصادر متنوّعَةَ الصِّيَغِ من الثلاثي وغيره، وجاءت الأسماء أحيانًا مُجرَّدة، وأحيانًا مزيدةً بحرفٍ أو بحرفَين، وأحيانًا أخرى جاءت على صيغة اسم الفاعِلِ مُفردًا ومجموعًا.
5. لم يكُن طَرَفَا الفَرق (المعطوف والمعطوف عليه) مُتَّحِدَي الصِّيغَةِ دائمًا في تلك المُفرَدَاتِ التي اختارَها الحكيم، بَل اتَّحَدَت الصِّيغة الصرفية في فروقٍ قليلة، واختَلَفَت في أغلبها.
6. تمثَّلت الفروق التي وردَت عند الحكيم الترمذي في صورة أسماء مركَّبة في نَمَطَين:
الأول المركبات الإضافية وانتظَمَتْها صُورتان باعتِبار محتوَى التركيب العطفي لهذه الفروق (المعطوف عليه والمعطوف)؛ توزَّعت الصورةُ الأولى على خمسة نماذج، وتوزَّعت الثانية على ستة نماذج.

النمط الثاني المركَّبات المصدريَّة وجاءت على خمسِ صُورٍ؛ ضمَّت الصورةُ الأولى سبعةَ نماذج، وظهرَت كلٌّ من الصورتين الثانية والثالثة في نموذجين، في حين جاءت كلٌّ من الصورتين الرابعة والخامسة في نموذج واحد، وانفَرَدَ فرقٌ واحد من بين المركَّباتِ بمجيء كُلٍّ من الطرفين اسم فاعلٍ مجموعًا؛ الأول مع متعلَّقِه النحوي (الجار والمجرور)، والثاني مجرَّدًا من متعلقه.

7. رأى الحكيمُ أنَّ التشابهَ بين تلك الفروق ظاهرِي، وإنما مرجعُ الاختلاف يكون في المعنى الباطِنيّ، الذي يراه سببًا لوجود الفَرق حين تتشابَهُ الكلمتان في المعنى الظاهر، وذكر أن العلماءَ – ولاسيَّما أصحاب الحكمة منهم – هم وحدهم من يستطيعون الوقوف على هذه الاختلافات وليس العامة من الناس.

8. استَعانَ الحكيم الترمذي بالمفعول لأجلِه في عنوانات بعض الفروق، واستعان في موضِعَين بالجار والمجرور (مِن أجل) وذلك لبيان الفرق؛ فقد يكون الفِعلُ واحدًا في الطَرَفَين، ويأتي بالمفعول لأجلِه أو الجار والمجرور لإيضاح المعنى الباطني الذي يكون سببًا للفَرق.

9. أرجع الحكيمُ كثيرًا من المفردات إلى أصلها الاشتقاقي لإيضاح المعنى، وتحدث عن القلب المكاني الذي عبَّرَ عنه بـ (قَلب اللغة)، وتحدث عن الإبدال الصوتي بين السين والصاد، كما علل تسميةَ بعض المفردات بأسمائها على النهج الصوفي.

10. رأى البحثُ أن الحكيم الترمذي من أوائل الصوفيَّة الذين لفتوا النظرَ إلى توجيهِ الحروف توجيهًا دلاليًّا مما شاعَ فيما بعد عند أهل التصوُّف، وأن ثمة صلة بين حروف الهجاء ودلالتها، وهو ما يُعرَفُ بالتفسير الصوفي للأصوات، الذي شاع فيما بعد عند أهل التصوف مثل عبد القادر الجيلاني، ومحيي الدين بن عربي، وقد نَبَّه ابن عربي إلى اهتمام الترمذي بعلم أسرار الحروف وذكر أنه يسميه علم الأولياء.

11. اتضح من خلال تتبع تلك الفروق وشرح الحكيم لها أنه ارتكز في اختيار تلك الفروق أولًا، ثم في توجيهها الدلالي ثانيًا على ثنائيات ضِدِّية؛ تمثلت في: (الظاهر والباطن)، و(المحمود والمذموم)، و(القَلب والنفس)، ورجّح الحكيمُ دائمًا أنَّ ما تعلَّقَ بالقلب من الصفاتِ يكون محمودًا، وما تعلَّق بالنفس يكون مذمومًا.

12. ظهر من خلال البحث تخصيص الحكيم دلالة بعض المفردات التي تحملُ معنًى عامًّا، وتغيير دلالة بعضها الآخر مما تتضمَّنه من معنًى سلبيٍّ إلى آخر إيجابِيّ، وكذلك إرجاع الفروق بين الأفعال إلى الدوافع من ورائها وليس إلى الأفعالِ في ذاتِها، وفضلًا عن ذلك رأى البحثُ أن بعض الفروق كانت واضحةً في دلالتها بعيدة عن اللَّبس، وعلى الرغم من ذلك أدرجها الحكيم ضمن الفروق التي عالجَها.

المصادر والمراجع

أولًا: المصادر (مادة الدراسة):

- **الترمذيّ، الحكيم أبو عبد الله محمد بن علي(ت: 320 هـ):**

1. بيان الفرق بين الصدر والقلب والفؤاد واللب، تحقيق الدكتور أحمد عبد الرحيم السايح، مركز الكتاب للنشر، القاهرة 1997م.
2. الفروق **ومنع الترادف**، حققه الدكتور محمد إبراهيم الجيوشي، وصدر عن مطبعة الإيمان بالقاهرة عام 2005م.

ثانيًا: المراجع:

- **الترمذي، الحكيم، أبو عبد الله محمد بن علي:**

1. آداب المُريدين وبيان الكَسب، تحقيق عبد الفتاح بركة، مطبعة السعادة، القاهرة د. ت.
2. أدب النفس، تحقيق أحمد عبد الرحيم السايح، الدار المصرية اللبنانية، الطبعة الأولى 1993م.
3. إثبات العِلل، تحقيق خالد زهري، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى 1998م.
4. الأمثال من الكتاب والسنة، تحقيق السيد الجميلي، دار ابن زيدون، بيروت، الطبعة الثانية 1987م.
5. أوصاف النبي صلى الله عليه وسلم، تحقيق سميح عباس، دار الجيل، بيروت، الطبعة الثانية، د. ت.
6. الحج وأسراره، تحقيق حسني نصر زيدان، مطبعة السعادة، القاهرة، الطبعة الأولى 1969م.
7. ختم الأولياء، تحقيق عبد الوارث محمد علي، دار الكتب العلمية، القاهرة، الطبعة الأولى 1999م.
8. الرياضة وأدب النفس، أ. ج. آربري وعلي حسن عبد القادر، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة 1947م.
9. الصلاة ومقاصدها، تحقيق عبد الحليم محمود، وحسني نصر زيدان، دار الكتاب العربي، القاهرة 1965م.
10. المسائل المكنونة، تحقيق محمد إبراهيم الجيوشي، دار التراث العربي، القاهرة، الطبعة الأولى 1980م.
11. معرفة الأسرار، تحقيق محمد إبراهيم الجيوشي، دار النهضة العربية، القاهرة، 1977م.

12. المنهيّات، تحقيق محمد عثمان الخشت، مكتبة القرآن، القاهرة 1986م.
13. نوادر الأصـــول في معرفة أحاديث الرســـول، تحقيق إســـماعيل إبراهيم متولي، مكتبة الإمام البخاري، القاهرة، الطبعة الأولى 2008م.
14. **الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر**، البيان والتبيين، تحقيق عبد الســـلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة السابعة 1998م.
15. **الجواليقي، أبو منصور موهوب بن أحمد**، المعرّب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم، تحقيق أحمد شاكر، دار الكتب المصرية، 1969م.
16. **ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد جمال الدين**، صـفة الصـفوة، تحقيق خالد مصطفى طرطوسي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية 2012م.
17. **الجيلاني، أبو محمد عبد القادر بن أبي صالح**، سر الأسرار ومظهر الأنوار فيما يحتاج إليه الأبرار، تحقيق: خالد محمد عدنان ومحمد غسان نصوح، دار السنابل، دمشق، الطبعة الثالثة 1994م.
18. **الجيوشـي، محمد إبراهيم**، الحكيم الترمذي محمد بن علي الترمذي: دراسـة لآثاره وأفكاره، دار النهضة العربية، القاهرة، 1980م.
19. الحسيني، عبد المحسن، المعرفة عند الحكيم الترمذي، دار الكاتب العربي، القاهرة، د.ت.
20. **الذهبي، أبو عبد الله شمس الدين محمد**، تذكرة الحفّاظ، دار الكتب العلمية، بيروت (د.ت.).
21. **الذهبي، محمد حسين**، التفسير والمفسرون، مكتبة وهبة، القاهرة، 1995م.
22. **السايح، أحمد عبد الرحيم**، الحكيم الترمذي ونظريته في السلوك، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2006م.
23. **السُّبكي، أبو نصر تاج الدين عبد الوهاب بن علي**، طبقات الشافعية الكبـرى، تحقيق محمود الطناحي، وعبد الفتاح الحلو، دار هجر، الطبعة الثانية 1992م.
24. **أبو السعود، عباس**، شموس العرفان بلغة القرآن، دار المعارف، القاهرة، 1980م.
25. **السُّلَّمي، أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين**، الطبقات الصوفية، تحقيق أحمد الشرباصي، دار الشعب، القاهرة، الطبعة الثانية 1998م.
26. **الســـيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر**، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق محمد أحمد جاد المولى وآخرين، المكتبة العصرية، بيروت، 1986م.
27. **صـلاحية، أحمد عبد القادر**، تأصـيل ظاهِرة الفروق اللغويّة ودراسـة الكتب المؤلفة فيها، مجلة التراث العربي، دمشق، العدد44، يوليو/تموز 1991م.
28. عبد التواب، رمضـــان، التطور اللغوي، مظاهره وعلله وقوانينه، مطبعة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثالثة 1997م.

29. **عبد الله، وجيه أحمد**، الحكيم الترمذي واتجاهاته الذوقية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1989م.

- **ابن عربي، أبو عبد الله محمد بن علي محيي الدين:**

30. سر الحروف، الرسالة الأولى ضمن رسالتين بعنوان: رسالتان في سر الحروف ومعانيها، والثانية: تفهيم معاني الحروف، المسماة مواد الكلِم في ألسنة جميع الأمم، لأبي الحسن الحرّالي، تحقيق عبد الحميد صالح حمدان، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، الطبعة الثانية 2005م.
31. توجُّهات الحروف، تحقيق عبد الحميد الشيمي، مكتبة القاهرة، الطبعة العاشرة 2004م.
32. **الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد**، المستصفى من علم الأصول، تحقيق حمزة زهير حافظ، كلية الشريعة، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة 1413هـ.
33. **ابن قتيبة، أبو محمد بن عبد الله بن مسلم**، أدب الكاتب، تحقيق محمد الدالي، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1981م.
34. **القحطاني، طارق بن سعيد**، أسرار الحروف وحساب الجُمَّل، رسالة ماجستير، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 2009م.

- **القشيري، أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك:**

35. الرسالة القشيرية، تحقيق عبد الحليم محمود، ومحمود بن الشريف، دار الشعب، القاهرة 1989م.
36. لطائف الإشارات، تحقيق إبراهيم بسيوني، الطبعة الثالثة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2000م.
37. **الكلاباذي، أبو بكر محمد بن إسحاق**، التعرف لمذهب أهل التصوف، تحقيق آرثر جون آربري، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثانية 1994م.
38. **اللبابيدي، أحمد بن مصطفى**، اللطائف في اللغة: معجم أسماء الأشياء، تحقيق أحمد عبد التواب عوض، دار الفضيلة، القاهرة، 1997.
39. **ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرّم**، لسان العرب، تحقيق عبد الله علي الكبير وآخرين، دار المعارف، القاهرة.

كشاف معجمي بالفروق اللغوية عند الحكيم الترمذي(*)

1	الاحتمال والعجز
2	استثقال الأغنياء من الوجد عليهم من أجل منع الحقوق واستثقالهم حسدًا ومنافسة
3	الاستراحة والشماتة
4	استماع الكلام تزودًا وافتقارًا واستماعه تلذُّذًا واحترافًا
5	إظهار النعمة والاختيال
6	الإلهام والوَسوسَة
7	الأناة والبلادة
8	الأناة والتسويف
9	الانتِصار والانتِقام
10	البِرّ والمَلَق
11	البَشاشة والهَشاشة
12	البُشرى والمِنَّة
13	البَهتَة والقُنوط
14	التآلف والتبصيص
15	التأديب وسوء العشرة
16	التأني والتسويف
17	التجمُّل والتحمُّد
18	التجمُّل والتزَيُّن
19	التحذير والتنديد
20	التحسُّس والتجسُّس
21	التحلِّي والتزيُّن
22	التخويف والوعيد
23	التدبير والسمعة
24	ترك الفضول زُهدًا وتركه ملالةً

(*) اشتمل هذا الكشاف على الفروق الواردة في الكتابَين محل الدراسة؛ وهما: الفروق ومنع الترادف الذي احتوى على 151 فرقًا، وبيان الفرق بين الصـــدر والقلب والفؤاد واللب واشـــتمل على أربعة فروق، بإجمالي 155 فرقًا، رتبت هذه الفروق ترتيبًا هجائيًّا، مراعيًا الحرف الأول في المفردات، وللكلمة الأولى في المركبات وعدم الاعتداد بأداة التعريف.

25	التسلُّط والاقتِدار
26	التظرّف والتصنُّع
27	التّعَزُّز والبَغي
28	تعظيم الدنيا من أجل الله وتعظيمها من أجل النفس
29	التعيُّش والترائي
30	التقدير والبُخل
31	التقدير والتقتير
32	التكبر بالحق وبغير الحق
33	التمني للموت شوقًا أو بَرمًا
34	التنفُّس والشكوى
35	التهجُّد والقِيام
36	التهمة وسوء الظن
37	التواضُع والتصنُّع
38	التوقُّع والطمع
39	التوكُّل والاتِّكال
40	الثقة والغِرَّة
41	الثَّناء والمدح
42	الجَماحة والسرعة
43	الجود والسَّرف
44	حب الإمامة وحب الرياسة
45	حب في الله وحب في ذات النفس
46	الحِدَّة والخَرَق
47	الحِدَّة والطَّيش
48	الحِرص والارتِفاق
49	الحَرَن والتأنّي
50	الحَزم والتشدُّد
51	الحُزن والأسف
52	حسن ظن العطائية والنفسية
53	الحلم ودناءة النفس

54	حملة القرآن والتالون له
55	الحَيرَة واليأس
56	الخَبَر والغَيبَة
57	خدمة الله وخدمة الحق
58	خشوع القلب وخشوع النفاق
59	الخشوع والتماوت
60	خشية الله وخشية الخلق
61	الخوف والجُبن
62	الداعي والواعظ
63	الدالة والجرأة
64	الدقَّة والاستقصاء
65	الذَّب عن العِرض وإشاعة الفاحشة
66	الرأفة والفِتنَة
67	الرأي والهَوَى
68	الرجاء والتمني
69	الرحمة والرِّقَّة
70	الرزانة والتثاقل
71	الرعاة والرواة
72	الرقَّة والجَزَع
73	الرقّة والحُرقَة
74	الزيارة والتطفيل
75	سعة الصدر وجلاء الصدر
76	سلامة الصدر والغفلة
77	سلطان الحق والفظاظة
78	السماحة والحِرص
79	الشجاعة والجرأة
80	الشُّكر والصَّلَف
81	الشكوى والتأنيب
82	الصبر والتجلُّد

83	صحبة المتقين تخلُّقًا وصحبتهم ترائيًا ختلًا للدنيا بدينه
84	الصدر
85	الصلابة والقسوة
86	الصلابة والكَزازة
87	الصمت توقِّيًا من الآفات والصمت تكبُّرًا وعَيًّا
88	الصول والبَغي
89	الصِّيانة والعلوّ
90	الضَّنّ والبُخل
91	الضيافة والمقارضة
92	طلب الغنى لإزاحة علل النفس تديُّنًا وطلبه لقضاء النُّهمَة علوًّا
93	الظرافة والعَرامة
94	العُبودة والعِبادَة
95	العجز والخلف في الوعد
96	العزم والبذل
97	العَزم والكبادة
98	عزة القلب وعزة النفس
99	العطف والبسلة
100	العطف والوُلوع
101	العَون والمُساعدَة
102	الغبطة والتمني
103	الغضب للحق والغضب للنفس
104	الغضب والحِميَة
105	الغَيرة والسُّخْط
106	الفراسَة والظنّ
107	فرح القلب وفرح النفس
108	الفصاحة والطلاقة
109	الفقر والبُؤس
110	الفِكرة وحديث النفس
111	الفؤاد

112	القلب
113	القناعة والكسل
114	الكَسب والجمع
115	الكمال والتمام
116	الكِيَاسة والجَربَزَة
117	اللُّب
118	اللطف للنساء والعرابة
119	اللين والذلَّة
120	اللين والمَهانَة
121	المأوى والمصيدة
122	المؤدون للأخبار والناقلون
123	المُبادَرة والعَجَلَة
124	المباعدَة والمناوأة
125	المُباهاة والمُسامَاة
126	المجاهدة والصرامة
127	المُحاجَّة والمُجادَلَة
128	المحبة في النساء والشبَق
129	المحبة في النساء والشبَق والنعظ
130	المُدَاراة والمُداهَنَة
131	المذكِّر والقَاصّ
132	المراوغة والجربزة
133	المساعدة والمعونة
134	المستعمل والمستبد
135	المعاتبة والمغاضَبَة
136	المُفَاتَشَة والمِراء
137	المقايسة والمشاكلة
138	المناضلَة والسفاهة
139	المُناظَرَة والمُغَالَبَة
140	المهابة والكِبر

141	الموافقة والمواربة
142	المَوعِظَة والمَلامة
143	النجوى والنداء
144	النذارة والنميمة
145	النَّزاهة والجَفاء
146	النسبة واللقب
147	النشر عن نعم الله والفخر به
148	النِّيَّة والأمل
149	الهدوء والمسكنة
150	الهَديّة والرشوة
151	الهرب من الذل وطلب العز
152	الهرب من الفقر مخافة الفتنة والهرب منه أنفةً وعارًا
153	الهَمّ والغَمّ
154	الوَجد والحقد
155	وجود حلاوة الطاعة لحلاوة التوحيد ووجودها لحلاوة المحبة